575

٥٧٥

عبير

دار م. النحاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

زوجة مهجورة

روزالي آش

زوجة مسحورة

روزلي آش

... شعر أشقر وعينان خضراوان، لكن روحك تمقت الرجال.

ربما ريك جوزف كان صادقاً في وصف غبريلا، لكن ما جعلها تصبح في هذا الشكل هو ذكرى بيير صديقها القديم،
والآن على ريك مساعدتها لنسيانه ويجعلها تحبه هو بعد أن يعلمها ما معنى كلمة حب.

والخطوة الأولى التي يجب أن يبدأ بها، هي دعم الثقة بينهما...

سوريا ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم -
السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨
درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

MAYAR

«لا ادري عما تتكلم.»

«بل تدرين جيداً.» وتقدم على نحو غير متوقع للإمساك بذقنها مديراً وجهها ومتفحصاً إياه. والتقت عيناهما، ولجزء من الثانية اصبحت غبريللا رهينة البريق الذهبي وأحست كأن وعيها يفارقها...

«انني اشعر بميل لتقبيلك ياصغيرتي لأبرهن لك صدق نظريتي.»

حاول ان تفعل وستر انك ستندم.»

ضحك بعصبية وقال: «من الصعب تجاهل هذه الجرأة.»

روزالي آش

بعد أن صرفها الزواج وشؤون العائلة عن مهنتها المفضلة، الكتابة،وجدت نفسها تعمل مساعدة شخصية، متعددت اللغات، لمدير مجموعة سياحية، وهي تعيش الان في مدينة ورويكشاير مع عائلتها المكونة من زوجها وإبنتيهما كايت وآبي . لكن مليها الطبيعي للكتابة وفن الرواية،إضافة إلى اهتمامها باللغات والسفر والبحث والتنقيب في الكتب ،وايضاً تردد الكاتبة الدائم على مسرح شكسبير في ستراتفورد، كل هذه العوامل دفع بالمؤلفة إلى الانخراط في التأليف. تمارس الكاتبة إلى جانب الكتابة رياضة السباحة واليوغا والمشي في الأرياف.

٥٧٥

قلوب عبير

khouloub Abir 575

زوجة مستوردة

روزالي آش

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الاول

كان منظر الشاب الأسمر،المتين القوام،في نظاراته الشمسية و قميصه الكاكي و سرواله البني الفاتح، ملفتاً،وكان الجميع ينظرون إليه باهتمام و يلتفون حوله كما يتجمع النحل على باب القفير. هاهو أحد الحمالين يهرول وراءه حاملاً الأمتعة و هاهو آخر يكاد يلوي عنقه من شدة إهتمامه في إيقاف سيارة تاكسي للشخص المرموق في أسرع وقت ممكن.

لاحظت غبريللا ذلك باستياء من موقعها المتاح لها وسط الضجيج والحر الشديد الذي كانت تنتظر فيه مرور سيارة تاكسي تقلها، و باختصار كان شعورها مزيجاً من الاعجاب والدهشة والحسد.

كانت تنقل ثقل جسدها من قدم لأخرى وهي واقفة إلى جانب حقيبتها تنضح عرقاً وتتلوى تعباً. فشهر يناير في جزيرة موريشيوس، التي تقع في أقصى جنوب المحيط الهندي بين أفريقيا واوستراليا، كان نقيضاً تماماً لطقس شهر يناير في لندن ،المدينة التي وصلت منها للتو.

كانت غبريللا قد أقفلت، قبل أن تسافر،باب شقتها في ويمبلدون حيث يكسو الجليدالطرقات وحيث كانت درجة الحرارة إثنان تحت الصفر.بينما هنا في باحة مطار بلاسيانس تلاقيها شمس ساطعة في وسط سماء زرقاء

لامتناهية و لا يكاد يرى في أطرافها سوى غيمات متقطعة. أما الحرارة في الظل فكانت تصل إلى ٩٥ درجة.

أزاحت غبريللا جديلة شعرها العسلي الفاتح و لوّحت بها لتبريد وجهها، بينما كان الرجل الطويل يستقر بهدوء وأمان في سيارة التاكسي التي تم إيقافهامن أجله بينما استقرت بهدوء و عناية حقائبه في الصندوق الخلفي، و لم يدهشها أبداً أن ينحني طاقم الحمالين لوداعه بينما تنطلق سيارته نحو وجهتها.

كان من الصعب رصد نظراته خلف نظاراته الشمسية السوداء، لكن شعوراً راودها بأنه كان يطيل النظر إليها. لقد حوّلت عنه أنظارها بسرعة خشية أن يراها تحدّق به. ورغم الشعور بمقت الرجال الذي كان يسيطر عليها، فإنها اعترفت لنفسها بأن هذا الرجل كان مذهلاً في جاذبيته، بل إنها وجدت في واقع الآمر، ورغم النظر إليه عن بعد، أنه كان أكثر رجلٍ شدّ انتباهها في ما مضى من عمرها. لقد أشعرتها اطلالته بمغص خفيف في معدتها، فهو نحيف رياضي خفيف العضلات و شعره البني الداكن منسدل بنعومة و كثيف، كان يبدو مشعاً في نظافته و أناقته و سحنته المميزة التي جعلت منه رجلاً يلفت النظر.

إنه لأمر غريب أن يذكّرها هذا الرجل بـ بيير.. لقد كان بيير أشقر بينما هذا الرجل أسمر، أما وجهاهما فلا يحملان سمة مشتركة. كان بيير أصغر من هذا الرجل بكثير حيث أنه لم يجاوز الخامسة و العشرين من

عمره بينما يبدو من ملامح هذا الرجل أنه في الثلاثين من عمره.لكنها مع ذلك لحظت وجود شبه ما غامض بينهما، لا بد أن الشبه يقع في هالة الجسد،وفي الوضع الممتاز الموروث وفي الغطرسة اللامبالية وهماكانتاصفتان بارزتان عند بيير.أماطريقته الباردة التي كان يتقبل بها اهتمام الناس به ومن حوله فكانت ميزة تخصه وحده دون سواه.

و هزت غبريللا كتفيها كمن ينفض عن كاهله الذكريات. ذكريات لم يعد فيها أي جدوى.فبعد الذي جرى لها مع بيير قررت أن يكون اهتمامها بالرجال أمراً ثانوياً. كان تقدمها في العمل يعطي إشارات واعدة، و هذا هو ما كان يشكل جُلّ اهتمامهافي الوقت الراهن. كانت حديثة العهد في عملها الجديد و كانت شديدة الرغبة في التفوق و النجاح،و فوق كل ذلك لقد كانت في هذا المكان وحيدة حين استبَقت الآخرين، كان عليها أن تقوم بمرافقة مديرة التحرير لشؤون الأزياء، التي لم تستطع المجيء بسبب اصابتها بالانفلونزا، هذا الوباء الذي أطاح بجميع موظفي قسم شؤون الموضة و بالتحديد عند الساعة الحادية عشرة.

و ها هي الآن فرصتها المواتية لكي تثبت نفسها و أن تبرهن لمجلتها«فيرست فلير» بأنها أكثر من موظفة بسيطة عادية. و حتى وصول الموظفين ذوي الخبرات القديمة فإن مسؤولية الكشف عن المواقع المناسبة، للتصوير الخاص بعرض الآزياء، إنما تقع على عاتقها وحدها رغم حداثة خبرتها... لقد كانت المهمة تحمل في طياتها الخوف و الاثارة معاً.

«أهلاً بك في فندق سابل رويال.»قالت لها موظفة الاستقبال ذلك،و هي تبتسم، حالما وصلت غبريللا و أمتعتهاإلى الردهة. تابعت الموظفة كلامها: «كيف كانت رحلتك يا سيدة تايلور؟»

«شكراً لسؤالك، كل شيء كان جيداً عدا دفع مبلغ كبير من الروبيّات لسائق التاكسي الذي تركني عند باب الفندق.لكنني لست مع ذلك السيدة تايلور.»أضافت غبريللا مع ابتسامة اعتذار:«إن الغرف محجوزة بإسم السيدة ارسولا تايلور.لكنني غبريللا هوارد مساعدة السيدة تايلور.لم تتمكن السيدة تايلور من السفر بسبب شدة المرض.»

أجابت موظفة الاستقبال بابتسامة و هزة خفيفة من الكتف:«على كل حال أتمنى لك إقامة طيبة في فندقنا.»

سأجعلها كذلك،رددت غبريللا لنفسهاو هي تتبع الحمال الذي ينقل حقيبتها إلى غرفتها،و فكرت انه سيتم لها ذلك فقط في حال نجاحها في إنجاز المهمة الملقاة على عاتقها..ولكن عليها قبل كل شيء أن تخفف من توترها وتبقي اعصابها باردة.

وهكذا حالما أغلقت الباب على نفسهافإنهالم تضيع أي وقت في نزع الجاكيت الانيقة التي تلبسها.ثم ظفرت شعرهاالاشقر في عقدة واحدة فوق رأسها واستسلمت«لدوش»من الماء البارد في الحمام الفاخر الملحق بالغرفة.واستسلمت لبرودة الماء باستمتاع شديد.

لقد كانت الغرفة التي حجزتها لها رئيستها ارسولا

تايلور،مديرة تحرير مجلة«فيرست فلير»للازياء،والتي هي تناهز الثلاثين من عمرها،كانت هذه الغرفة تبعث على البهجة والسرور بأثاثها الانيق وديكوراتها الخشبية والنحاسية والشرفة الملحقة بها المطلة على المسبح الابيض المتلالىء المسوّر بأشجار الصنوبر الحالمة، خلف المسبح والشاطىء كانت تتمادى زرقة مياه المحيط المتلالئة تحت الشمس والممتدة إلى اللانهاية.

كانت غبريللا تشعر نوعاً ما بالذنب لانها تنعم في رفاه هذا الفندق،بينما رئيستها تتلوى في لندن تحت وطأة المرض والحرارة الشديدة.خرجت من تحت «الدوش»إلى غرفة النوم بعد أن جففت جسدها ووجدت بلوزة فضفاضة فلبستها، بينما بحثت عن جهاز تجفيف الشعر.

وبينما كانت منهمكة في البحث في حقيبة سفرها إذ بطرقات عنيفة تتلاحق على باب غرفتها الذي ما لبث أن فُتِح بقوة.ووثبت واقفة على قدميها بينما خفق قلبها من الهلع عندما إندفع رجل غاضب إلى داخل الغرفة قائلاً:«آرسولا! بماذا أنت تتلاعبين!!»

وتوقف الصوت الجهير فوراً في منتصف الجملة وهدأ الغضب رويداً في عيني الرجل المقتحم وتحول إلى نوع من الدهشة والمزاح عندما تحقق من غلطته.وجدت نفسها تحدق وجهاً لوجه بالرجل الاسمر الطويل ذي القميص الكاكي والسروال البني الفاتح الذي شاهدته في باحة المطار.

«أعتقد أن هذا السؤال يجب أن يكون موجّهاً إليك.»سمعت نفسها تقول،وهي ترتجف،غير مسيطرة على نفسها،بينما شيء ما في عينيه الداكنتين كان يبعث في جسدها بكامله دفقات من التنبه. وعندما حدّقت به عن قرب، انتابها شعور غامض أنها كانت قد شاهدت هذا الرجل من قبل في مكان ما غير باحة المطار، لأن وجهه كان مألوفاً لديها إلى درجة غريبة.. إذاً لابد أنه من اصدقاء رئيستها ارسولا.

كان قد طرق مسمعها في العمل منذ اسبوعين شيء من الاقاويل عن مشاكل في زواج ارسولا.ترى أيكون هذا الرجل هو السيد تايلور يلاحق زوجته طمعاً في مصالحة رومانسية؟هذا احتمال وارد، لأن الرجل يبدو في نفس عمر السيدة أرسولا.

«هل هذا هو دأبك في اقتحام غرف الفنادق على ساكنيها بدون استئذان؟» اضافت تقول ذلك وقد جفّ حلقها.

ارتجفت شفتاه الصارمتان،لكنه كان يرقب ردة فعلها بعينين خضراوين مليئتين بالاعتذار.«ألف معذرة إذا كنت قد روّعتك يا آنستي لقد كان الباب غير مقفل ثم أنني اعتقدت أن السيدة تايلور هي التي تنزل في هذه الغرفة،فمن تكونين؟»

إنه كان يخضعها لتحقيق بارد متزن، وإن كيانها ليرتجف من الخضوع لتقديرات الرجال.قالت باقتضاب:«أنا مساعدة ارسولا تايلور.إن السيدة تايلور مصابة بالزكام.لكن هل حضرتك زوجها؟»

«لا لست زوجها.»أجاب الصوت الخافت.»

«حقاً؟»لقد حاولت جهدها دون جدوى لتخفي من صوتها الشعور بالحزن والأسف وحتى الاحتقار.لقد كان هذا الرجل ليس بليداً لدرجة عدم الاحساس بالمشاعر المشحونة في صوتها، ولكنه رغم ذلك كان بليد الشعور إلى حد ما لدرجة أنه بقي مكانه يتلقى هذا التقريع بدلاً من الانصراف السريع بخجل مخذول.

عضّت شفتها شاكرة حظها أنها قد لبست ثيابها قبل ثوان قليلة من دخوله المفاجيء،والا لكان فاجأها بعد خروجها من الحمام.لا بد أن لهذا الرجل علاقة حميمة مع أرسولا تايلور وإلا لما سمح لنفسه بدخول غرفة نومها بدون استئذان.

شعرت غبريللا بالغثيان قليلاً لهذا الاستنتاج، فقد تكون هي سانجة جداً إلا أن الزواج في نظرها شيء مقدس.

ولم تكن هذه الحادثة،التي تمثلت في تدخلها في تشابكات علاقة خيانة زوجية، باعثة لها على هذا السرور.

لقد بدا هذا الشخص شبيهاً بـ بيير لناحية برودته وضعف خلقه الموروث ولامبالاته بالتقاليد وفي نظرته للمرأة وكأنها دمية للتسلية.لكن رقصة التانغو تحتاج إلى راقصين اثنين حسب قول المثل.وعليه فإن أرسولا قد لا تكون بريئة!!

لكن غبريللا طردت هذه الفكرة من رأسها فوراً باعتبار أن شؤون رئيستها المتزوجة الحميمة لا تدخل في نطاق اهتمامها.

«اشم رائحة عدائية!!»

قال ذلك.. وهو يهز رأسه بحزن وسخرية ظاهرين في كل تقاسيم وجهه، تابع كلامه:«أوتظنين ياآنستي أنني مجرد زير نساء طائش؟»وهنا جعلت السخرية صوته أكثر عمقاً...فأكمل:«كم هو جميل أن يصادف المرء شخصاً مغروراً لدرجة أنه يستثار لعلمه بإقامة الصداقات خارج نطاق الزواج!! إن الحقيقة لتخرج من افواه الأطفال الأبرياء كما يقول المثل.»

تغيّر لون غبريللا قليلاً لسماعها ذلك فردت قائلة:«زير نساء... ذلك هو تعبيرك أنت وليس تعبيري.» قالت ذلك بأقصى ماأوتيت من قوة وتابعت:«لكنني رغم ذلك أحب أن أؤكد لك أنني لست طفلة ولست مغرورة.»

قال ممازحاً:«آه... أنت نموذج عن المرأة الحقيقية في هذا العالم.»

بينما جالت نظراته الجريئة بتفحص شديد على كامل جسدها من شعرها الأشقر إلى قوامها الأهيف إلى شعار الفأرة المطبوع على البلوزة. كان لعينيه لون غير اعتيادي لم يكونا بنيتين ولا بلون البندق... بل كان اللون أقرب إلى لون الذهب القديم المصهور... هكذا خُيّل لغبريللا وكانت عيناه هما الأكثر إرباكاً في العيون التي نظرت إليها في حياتها...

ردد كلامه:«إنك بالفعل إمرأة حقيقية في هذا العالم... كم عمرك ياآنستي؟»

أجابت بصوت أجش:«واحد وعشرون... كبيرة لدرجة كافية لكي أفهم اللعبة ياسيد ...من تكون؟»

كان هناك صمت قصير قبل ان يقول:«جوزف... ريك جوزف.» ماداً نحوها يداً قوية سمراء للمصافحة. نظرت الى اليد الممدودة إليها بارتباك قبل أن تمد يدها للمصافجة... إن هذا الإسم لا يبدو إسماً لرجل فرنسي مع أنه يتكلم الفرنسية، لكنه عندما يتكلم الأنكليزية تختفي أي لُكنةٍ فرنسية.. انه رجل غامض فكرت بذلك بعد تردد. لابد أنه واحد من مغامري وسواح العالم الذين لديهم المزايا والجرأة ليندمجوا في أي حشد.

«اسمي غبريللا هوارد.»قالت ذلك وهي تسحب يدها من يدها بسرعة قياسية. كانت قوة الدفء في يده أثناء المصافحة مربكة إلى درجة لاتصدق.

نظرت إليه في حمأة مفاجئة من الدفاع الغاضب قائلة:«والان وبعد أن تعارفنا، هلاّ تفضلت بالذهاب؟ فكما ترى، إن السيدة تايلور ليست مختبئة تحت السرير ولاجاثية خلف الباب، وإذا كنت شديد الاضطرار إلى مقابلتها فما عليك سوى السفر بالطائرة الى لندن وزيارتها على فراش المرض، مع أن السيد تايلور لن تعجبه مثل هذه الزيارة.»

ظهرت على وجهه الأسمر ابتسامة ضئيلة فقال بعد أن ادرك هجومها المفاجيء:«لابأس... يمكن تأجيل الأمر.» ثم سار باتجاه الباب بخطى ثابتة وئيدة ليسألها:«هل أرسولا لاتزال عازمة على القدوم عندما تتحسن صحتها؟»

«طبعاً ستأتي مع دزينة من المساعدين... أنا في الوقت الحاضر وبسبب ظروف قاهرة فإنني سأقوم بإستكشاف المواقع المناسبة للتصوير.»

توقف قليلاً عند الباب ليقول: «أحقاً ماتقولين؟ ربما كان باستطاعتي تقديم بعض المساعدة لك في ذلك.»

«إنني متأكدة من حسن قيامي بعملي دون مساعدتك. شكراً لك.»

كانت اجابتها الحادة السريعة قد سبقت قدرتها على تحليل الموقف.

إتسعت ابتسامته ليقول: «علي أن أخبرك ياآنسة هوارد بأن لديك جرعة زائدة من الروح العالية والمبادىء الرفيعة. إن مستخدمة أكثر دراية ستفكر مرتين قبل التهجم على صديق رئيستها وربما عليها أن تفكر في مصير وظيفتها.»

حدقت به بينما تضاعفت خفقات قلبها وكان ينتابها الغضب لدرجة أنها لم تكن لتجد صوتها، لكن كلماته لسعت أذنيها بالحقيقة. فربما إنه كان مغروراً وشديد السلطة، وربما أنه أخطأ في الإندفاع إلى غرفتها حتى أنه كاد أن يراها في وضع شديد الحرج، لكنه مع كل ذلك من الواضح أنه يعرف أرسولا تايلور معرفة تامة، ومع أنه يستمتع بملاحظة إرتباكها، الا أنها لم تكن بالتأكيد في موقف من يستطيع إطلاق الأحكام القاطعة على الموقف والظروف.

عضت على شفتها بغضب وثارت بوجهه مندفعة بشعور جياش من احتقار الرجل وبقوة أدهشتها في نفسها فإذا بها تقول وهي ترتجف: «أي نوع من البشر أنت ياسيدي.»

«إنني احقر الرجال وأشدهم وضاعة... لكن لاتقلقي.»

قال ذلك بضحكة قصيرة بينما هو يفتح الباب ملاحظاً توهج وجنيتها بالغضب: «نحن ملاحقي النساء شديدو التهذيب... إلى اللقاء ياآنسة.»

بعد خروجه، وجدت نفسها تحدق دون حيلة في الباب المغلق غير قادرة على استعادة أن شعوراً مثل هذا بالاشمئزاز المقزز قد راودها تجاه شخص بالكاد عرفته ومع ذلك فهو يقول إلى اللقاء. الا ليت لقاءه لا يتكرر ابداً.

* * *

لكن الحظ لم يسعفها، فقد تبخرت كل آمالها في أن لاتلتقي به ثانية بعد ساعة واحدة فقط. وكان ذلك عندما قصدت المطعم المجاور لحوض السباحة المسور بأشجار النخيل. لقد كان يحتسي فنجان قهوة فيما هو يجلس باسترخاء امام طاولة. لقد كان لونه الأسمر في سترة بيضاء وربطة عنق كهرمانية، زادت من بريق عينيه الذهبيتين، جذاباً وساحراً. فلقد تحلّق حوله مجموعة شديدة الحيوية من الناس الذين كانوا يروحون ويجيئون بصخب واهتمام وكلهم سعي لتحقيق طلباته، بين أفراد هذه المجموعة لفت نظر غبريللا فتاتين كانتا مفرطتي الأناقة كانهما عارضتي أزياء، وقد بدتا رهن إشارته في اهتمامهما للفت إنتباهه ولقد كانتا جميلتين حقاً في أزيائهما المسائية.

وللحظة تسمرت غبريللا في مكانها وهي تنظر حولها بتمعن بينما تعالى صخب الضيوف المتحركين منهم والجالسين إلى الطاولات المضاءة بالشموع، وحول حوض السباحة المتلالئة بالأنوار.

ها هي هنا وسط هذا الجمع، وقد توتر قلبها لمشاهدتها أن كل النساء الحاضرات يرفلن في أثواب السهرة الحريرية الأنيقة والتسريحات الجميلة بينما وجهها هي خالٍ من أي ماكياج أو زينة، وشعرها مرفوع إلى أعلى على شكل ظفيرة فرنسية، وترتدي زيها المفضل، وإن يكن غير ملائم لهذه المناسبة، المؤلف من بلوز خضراء .تفاحية اللون فوق تنورة فضفاضة.

ولاحظ ريك جوزيف قدومها فاستدار نصف استدارة من مقعده رافعاً لها يده بالتحية بينما تعلقت أنظاره بها للحظة دون أن تكون تعبيرات وجهه واضحة فاستدارت الفتيات اللواتي كن بقربه أيضاً وكل واحدة منهن ترمق غبريللا بنظرات حسد سريعة لكنهن سريعاً مااستدرن من جديد لاستئناف حديثهن الصاخب.

لقد فات الأوان لكي ترجع على أعقابها إلى خزانة ثيابها لتختار ثياباً اكثر جمالاً ومناسبة، إنها لو فعلت ذلك لبدت سطحية وسخيفة في نظر الجميع. عليها إذاً أن تتجاهل الأمر.

وبثقة عالية، ورأس مرفوع تقدمت نحو المقصف وهي تبتسم ابتسامة الواثق لموظف المقصف الآسيوي الودود.

«أريد كوباً من شراب الأناناس من فضلك...»

وعن مسافة قريبة كان بمستطاع غبريللا أن تسمع واحدة من الفتيات تجاذب ريك جوزيف الحديث باللغة الفرنسية بصوت جرىء أذا ماقورن بصوتها الهادىء الانثوي الناعم. وشعرت بتحسن عندما لاحظت أنها

استرعت انتباه النادل الذي تقدم لخدمتها وهو يبتسم قائلاً: «أهلاً بك ياآنسة هوارد.. هل تريدنني أن أصطحبك إلى طاولتك.»

«شكراً... نعم... بالطبع.» قالت ذلك وهي تتبعه، محولة نظرها عندما اقتربت من ريك جوزيف وعندما صارت بمحاذاة طاولته استدارت واحدة من صديقاته بسرعة وهي تنفجر ضاحكة وفي يدها كوباً من عصير الليمون اصطدم بثياب غبريللا الذي وجدت أن ثيابهااصطبغت باللون البرتقالي.

قالت الفتاة: «عفواً عفواً... أنا آسفة.» نظرت غابريللا جلياً الى وجه الفتاة الضاحك الذي لاتبدو عليه إمارات الندم أو الأسف.

امتقع وجه غبريللا وهي تنظر إلى ثيابهاالملطخة خاصة وأن جميع الأنظار تركزت عليها وتحولت نحوها حتى لأنها تمنت لو تختفي من الوجود للحظات.

«لابأس... لاتنزعجي.» قالت ذلك والارتباك يغلفها، فإضافة لكونها لا ترتدي ثياباً مناسبة للسهرة ها هي الآن تظهر في ثياب ملطخة بالعصير.

«نأسف لهذا الحادث يا انسة.» تابع كبير الخدم باهتمام: «فلربما تريدين أن تغيري ثيابك قبل الجلوس لتناول العشاء؟»

«أجل أعتقد أن ذلك أمراً صائباً. لكنهما سرعان ما تم مقاطعتهمامن قِبَل ريك جوزيف الذي تقدم لمعالجة الموقف ببرودة.

«إترك الامر لي يا ريني.» قال مخاطباً كبير

الخدم،ثم تابع:«تعالي معي يا غبريللا.»عندما أمسك ذراعها ذهلت لجرأته بحيث أنها لم تجد وقتاً للجدل في الامر قبل أن يتوارى معها إلى عتمة الحدائق الخلفية للفندق.

«إترك ذراعي.»قالت له ذلك ببرودة وتهذيب بينما استدارت لتواجهه في الوقت الذي أنزل يده عن ذراعها.وتابعت:«كان من الأفضل لك لو تابعت حديثك الصاخب مع صديقاتك الحسناوات بدل أن تقتادني إلى هذا المكان.»

أطلق تنهيدة قلقة ناظراً إليها بوجه منزعج وقال:«هل تنزعجين إذا ناديتك بإسمك غبريللا؟»

«نعم أنزعج في الواقع.»

«عليك أن لا تتسرعي في الحكم على الناس هكذا..إنني اسف جداً لهذا الحادث،ولقلة انتباه مرافقتي وسوف اشتري لك فستاناً جديداً.»

«لكنني أحب ثيابي هذه بالذات.»ردت عليه بعناد وتابعت:«وإذا كنت أحافظ على مستوى معين من التصرف فهذا لا يعني أنني أحكم على الناس بقسوة.»

قال بين الضحك والغضب ممسكاً بكتفيها وهو يهزهما هزة خفيفة:«يا لك من متزمتة يا غبريللا.»

لسعتها كلماته لسعاً،فاستدارت لترد عليه ولكن صوتها خانها فجاة.وفجأة بدأ تماسكها ينهار لتبدو عليها علامات الغضب.

«لا يهمني كثيراً رأيك بي يا سيد.»استدارت لتتابع بينما هو يمسك بكتفيها ويقودها أمامه على ارض

الحديقة المعشبة:«أما رأيي بك فهو أسوأ من رأيك بي،أين نحن الآن؟وإلى أين تأخذني؟»

أجابها بهدوء:«لقد تعلمت من أمي أن عصير الليمون لا يزول إلا بنقع الثوب بأسرع وقت ممكن.»

في هذه اللحظة كانا قد بلغا فيلاً مجاورة محاطة بأشجار النخيل الباسقة المتمايلة.وقرب المدخل الخشبي المقنطر كان الهواء عبقاً بأريج الأزهار الاستوائية.«ادخلي وانزعي ثوبك الملطخ وسأحضر الماء والصابون لنقعه إذا كنت تريدين أن تجربي وصفة أمي.»

كانت إبتسامته الساخرة وهو يقودها إلى داخل الفيلاّ الخاصة تجعلها أكثر غضباً.«أنزع ثوبي؟هل أنت جاد في ما تقول؟»

«نعم طبعاً.لما الاستغراب؟إلا إذا كنت تريدينني أن اغسله بينما أنت تلبسينه.»

قالت له محذرة:«إنتبه.. إذا كانت هذه نوعاً من لعب الإغواء...»

قاطعها قائلاً:«لا أبداً يا غبريللا.»

قال ذلك وهو يقودها إلى حمام فاخر مزين بالخشب الثمين،ثم دفع نحوها عباءة حريرية رجالية.مكملاً:«أنت لست من النوع الذي يعجبني.»نظر إليها بازدراء وتابع:«أتعرفين ذلك؟»

توهجت وجنتاها غضباً عندما تطلعت إلى وجهه الساخر،والتقطت أنفاسها لتقول:«وماذا علي أن ألبس إلى العشاء؟هل سألبس عباءتك الحريرية؟»

«هوني عليك،أعدك بأن لا تتصوري جوعاً.»ثم انسحب

تاركاً إياها تغلي بمشاعرها المتضاربة والتي ليس أقلها الذعر الشديد.

بعد تردد شديد وتفكير عميق، هدأت ثورتها. فأحكمت مزلاج الباب وخلعت ثوبها. وبعد أن أحكمت لف العباءة حول نفسها تحاشياً لانكشاف جسدها، خرجت حاملة الثوب الملطخ بيديها.

كان ريك جوزيف قد خلع عنه سترة العشاء وأرخى قليلاً ربطة عنقه وكان مسترخياً على كرسي خيزران على التّراس المطل على منظر جميل تحت نور القمر المنتشر فوق إمتداد المحيط، هكذا كان وضعه عندما بحثت عنه من غير حماس.

عندما شاهدها نهض واقفاً وأخذ الثوب من يدها المتشنجة وهو يبتسم. «حسناً سوف ننقع الثوب الآن.» قال ذلك ممازحاً بينما حمل الثوب ثم سار نحو مطبخ شديد التجهيز. سألها ببرودة: «هل تريدين أن أقدم لك شراباً؟»

«كلا شكراً لك.» بعد قليل، لم يعد ومعه الثوب بل أحضر معه صينية عليها زجاجة عصير وكوبين.

«قلت لك لا أريد أن أشرب شيئاً. هل تحتال على صديقاتك دائماً بعمل ما تريده أنت فقط؟» قالت ذلك بسخرية خفيفة.

توقف عن سكب العصير ليقول: «كلا ليس من الضروري دائماً، لأنهن يوافقن على كل كلمة اقولها دون حاجة الى الاعتراض.» واشتعل وجهها خجلاً من جديد.

قالت بابتسام: «يا لحسن حظك. ولكن ماجرى

لصديقتك في المطعم؟» والتمعت عيناها بنظرة خبيثة...

«اجلسي غبريللا.» قال لها ذلك بحنان، مقدماً لها كرسي خيزران بيضاء ومنتظراً بثقة وصبر ثم تابع: «ولنرى إذا كان بإستطاعتنا التحدث بطريقة حضارية ريثما يحضرون لنا عشاءنا.»

«ريثما ماذا؟» قالت بشعور متعاظم بالارتباك: «عشاءنا؟»

«يمكننا أن نأكل هنا، وهذا يعطينا فرصة ممتازة لنتعرف على بعضنا بشكل أفضل، وهكذا عندما تأتي ارسولا تكتشف أي صديقين أصبحنا. أتوافقين؟»

ارتعشت قليلاً بينما تشبثت يداها في جيبي الروب، كان هناك شيء ما في عالمه المعقد، شيء دفعها للشعور وكأنها إبنة اثني عشر عاماً، لكن مع كل ذلك فإن البريق في عينيه جعلها تشعر عكس ذلك، كانت غبريللا تشك في أنها تعرضت لمثل هذا الشعور من قبل.

جلست على كرسيها في مواجهته بصمت بينما انتهى هو أيضاً بصمت من سكب العصير فقدم لها كوبها.

وعندما مدت يدها للإمساك بالكوب إنزاح الروب الحريري بكل عناد عن قدمها وبلهفة فكت رجليها عن بعضهما البعض وغطت قدميها جيداً لاصقة ركبتيها إلى بعضهما البعض. وعندها، لمحت نظرة ريك جوزف المليئة بالالغاز وهو يضحك لردة فعلها.

قال لها بسخرية: «ربما أن لك رأي شائن في الرجال عموماً، لكنني اؤكد لك أنني لست حيواناً مهووساً.»

اجابت بعدم اكتراث: «حياتك الخاصة لاتعنيني.» وكادت معدتها تتمزق من التوتر بينما كانت تحتسي عصيرها.

«إذاً قولي لي ماذا؟» وأدهشها السؤال المتكاسل بينما هو يرفعها من خلال كوبه بنظرة مبهمة غير مفهومة، فحدقت به في صمت مطبق للحظة ثم حركت رأسها ببطء قائلة:«آسفة، لم أفهم.»

«ماهي اهتماماتك ياغبريللا؟»

«إنه سؤال خاص، أليس كذلك؟» أجابته فيما هي تشك في اخلاصه... لاشك أنها جولة أخرى من السخرية، لكنها أردفت:«أعتقد أن عملي الآن هو مايهمني.»

«إذاً أنت طموحة؟ الآن أنت مساعدة رئيسة التحرير بقسم الأزياء، فما هي طموحاتك في مجلة فيرست فلير؟»

هزت كتفيها وهي تضحك ضحكة مصطنعة: «أية ترقية ستكون مقبولة بالنسبة إلي. مع أن هناك شائعات سرت أخيراً مفادها أن ملكية المجلة قد تغيرت، مما يعني أن الأمور ستكون أبعد مايكون عن الاستقرار.»

وكانت بالفعل قد سمعت أخباراً مفادها أن بيير ووالده يعرضان أسهم المجلة للبيع، الأمر الذي سيعني، لو تم، إنهاء خدماتها فوراً في هذا القسم بالذات، لكن لم يكن هناك فائدة من التخوف قبل أن يأتي الأوان، فلقد صارت هادئة في الآونة الأخيرة وتعيش حياتها يوماً بيوم.

سألها:«هل أنت على كفاءة عالية؟» كان يراقب استغراقها الحالم بمتعة.

«لابأس بكفاءتي، فقد أنهيت برنامجاً دراسياً في فن الموضة من كلية سانت مارتن في الوقت الذي كنت فيه أعمل في شركة بي آر. لقد عملت مع مصممي أزياء وأرغب في امتهان هذه المهنة.»

لم تكن تدري ماالذي يدعوه للاهتمام في خططها للعمل في عالم الأزياء. إلا إذا كان له علاقة شخصية في هذا المجال من العمل؟ ولقد خطر على بالها ذلك كمجرد احتمال عابر.

وقد عزز اعتقادها ذلك أن صديقاته اللواتي شاهدتهن في المقصف كن طويلات وأنيقات حسب المواصفات المتوفرة في عارضات الأزياء.

«تصميم الأزياء؟» هز ريك رأسه دون أن يبدو على وجهه أية تعابير. وتابع:«وهل أنت جيدة في هذا المجال؟»

«أعتقد ذلك.»

«لهذا السبب إذاً عهدوا إليك، لترتيب موقع التصوير للأزياء، وأعتقد أنك مسؤولة عن المناظر والمواقع والعارضات وتصفيف الشعر والماكياج؟»

«نعم، ولكن ما ساعدني هو فقط عامل الصدفة كما شرحت لك، لكن الآخرين الذين كان يجب أن يصلوا معي قد أصيبوا جميعاً بداء الأنفلونزا. هل أنت نفسك تعمل في مجلة فيرست فلير؟»اضافت جملتها الأخيرة فجأة وهي تشعر بالمزيد من الإرتباك. لقد بدا وكأنه يملك خلفية واسعة عن العمل برمته.

هزَّ رأسه وهو يبتسم إبتسامة باهتة قائلاً:«لا ليس بالضبط.»

«ماذا تعني بقولك ليس بالضبط؟ إنك لتبدو على علاقة وثيقة مع ارسولا تايلور، ويبدو أنك تعرف الكثير عن عمل المجلة.»

«أستطيع أن أصنف نفسي بأنني أشتغل لحسابي الخاص.»

«ماذا تعمل إذاً في موريشيوس؟»

«جئت بقصد الاستجمام بعد فترة عمل مضنية.إنني أمضي الكثير من الوقت هنا إضافة الى كوني مولود هنا أيضاً.»

«أنت أذاً مواطن من موريشيوس؟»

ضحك قائلاً:«أنتمي إلى فرنسا وموريشيوس. فأجدادي استقروا هنا في القرن الثامن عشر. كانوا جمعاً مختلطاً من القراصنة، مع الأسف، تم اغراؤهم وأرسلوا إلى هنا من قبل شركة الهند الشرقية الفرنسية بقصد استعمار الجزيرة؟.»

«تم إغراؤهم؟»

«أجل، تم إغراؤهم بعروض المال والأراضي والنساء، فقد كان يجري تجميع الفتيات على أرصفة موانىء فرنسا ويجري سفرهن إلى هنا لتزويد الرجال بالنساء للزواج منهن. فالوعد بزوجة مستوردة كان عاملاً حاسماً في القرار. ألا تشاركينني الرأي؟»

دهشت غبريللا من وميض المكر القاسي الساخر في عينيه.

«إذاً، أنت لاتعيش هنا في الواقع؟»

هز رأسه قائلاً:«أعيش في نيويورك أو في باريس وأحياناً في لندن. لكنني أعود إلى هنا عندما أتمكن من ذلك، وإنني أخطط لأبني بيتاً لي هنا في الوقت الحاضر.»

«حسناً إذاً.» نظرت إليه نظرة اليائس من براعته في التملص، بينما تدور أفكارها على نحو خارج عن إرادتها... وعندما طالت فترة الصمت، حرّك حاجبيه بطريقة غريبة قائلاً «يبدو أنك شاردة الذهن ياغبريللا.»

اجابته بلهجة باردة:«كنت أفكر كيف أن نسبك يلقي بعض الضوء على سلوكك. وعندما تكون سليل أسرة من القراصنة فإن القليل من الخيانة الزوجية لايعني لك شيئاً كثيراً.»

وفوراً شعرت بالخجل لإهانته، فراقبت وجهه ينقبض قليلاً ويصبح عابقاً بالغضب، فكاد قلبها يقفز من مكانه. وضعت كوبها على الطاولة واستدارت قائلة:«شكراً للعصير وأرجو أن تعذر انصرافي لأنني أرغب في تناول العشاء بمفردي هذه الليلة.»

لم تكد تبلغ الباب حتى وجدت نفسها محشورة إلى جانبه بجسم محدثها البالغ ستة أقدام من الطول. وكادت حنجرتها أن تختنق بالغضب وفرط الشعور، فصرخت في وجهه بذعر وهي ترتجف:«دعني أمر.»

لم تكن تستطيع القول انه يضغط على جسدها لأنه لايكاد يمسها، لكن يديه كانتا على جانبي الباب حولها وتسمر انها مكانها دون حاجة لأي احتكاك جسدي. وفي الوقت نفسه كان صدره المتين يهدد بالاطباق عليها، لكنه لم يفعل وبقي صدره على مسافة إنش واحد منها... كان وضعها حرج ودقيق.

«انني رجل شديد الصبر.» أضاف قائلاً، وهو يضحك

بصوت أجش:«لكنني تعبت من كثرة إهاناتك لي ياآنسة غبريللا هوارد.»

«دعني أذهب...»

كان هناك أريج غامض من العطر الثمين وثمة نظافة ودفء ورائحة جميلة تنتشر منه، الأمر الذي جعل رأسها يدور. كانت قريبة جداً منه لترى اتساع عينيه السوداوين، ولتلاحظ نمو نقنه الحليقة. لقد كانت تظن أنها ستكون في وضع الانسان الخائف المرتعب في هذا الموقف، لكنها كانت تشعر بموجة طاغية من الحضور الجسدي... كانت كمن تحركت فيه مفاتيح كثيرة لمشاعر كانت مخفية.

«إنني أكره النفاق.» أضاف قائلاً كما ولو كانت لم تتحدث معه بشيء. وتنقلت نظراته الفاحصة على جسدها وتوقفت عيناه عند شفتيها المشدوهتين.

قالت بصوت خافت:«أنت تذكر النفاق؟»

وبابتسامة عريضة تراجع قليلاً محرراً اياها لكنها وجدت أن ركبتيها مرتخيتان ولاتقويان لاعلى حملها ولا على الحركة.

«إنني أكره الفتيات اللواتي لم يكدن يتجاوزن سن المراهقة ومع ذلك يرغبن في اصدار أحكامهن على الناس.» وأكمل حديثه مراقباً تلَون وجهها قائلاً:«ومع ذلك يخفين رغباتهن.»

«لاأدري عما تتكلم.»

«بل تدرين جيداً.» وتقدم على نحو غير متوقع للإمساك بذقنها مديراً وجهها ومتفحصاً إياه. والتقت عيناهما،

ولجزء من الثانية صارت رهينة البريق الذهبي، وأحست غبريللا كأن وعيها يفارقها...«إنني أشعر بميل لتقبيلك ياصغيرتي لأبرهن لك صدق نظريتي.»

«حاول أن تفعل وسترى أنك ستندم.»

أطلق ضحكة عصبية خافتة وأمسك بكتفيها وأدارها نحوه قائلاً:«من الصعب تجاهل هذه الجرأة.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

هذه التجربة الضئيلة معه كانت كفيلة لإبعاد أي تشابه بينه وبين بيير في رأي غبريللا. لقد كانت قبلته مبعثاً لموجات من الشعور الغامر في كيانه. كل شيء ذاب في وعيها وأيقنت أنها حتى ولو توهمت مرة أنها أحبت بيير فإنه لم يكن له أبداً هذا الحضور المؤثر عليها.

لقد كانت هذه التجربة الأخيرة مثيرة لدرجة لايتصورها العقل. واحتاج منها الأمر كثيراً من التصارع مع حواسها حتى تمكنت من استجماع قواها بدرجة كافية لدفع ريك عنها بعنف لأن المشاعر التي أثارها في كيانها جعلتها ضعيفة الكيان وخائفة جداً حتى من ردود أفعالها.

«هل انتهيت؟» قالت بصوت خافت مختلف:«لأنني بصراحة أحتاج إلى أكثر من فنجان قهوة واحد حتى أتقبل مخاشنة رجل مثلك.»

بدا وجه ريك جوزف وكأنه قناع بارد ساخر وهو يسألها:«ألا تبقين معي لتناول العشاء ياغبريللا؟»

«ليس قبل مليون سنة!» وأمسكت مقبض الباب وفتحته بعنف وهي تتابع:«أفضل الموت جوعاً على تناول الطعام معك!»

خرجت غير مبالية بالروب الرجالي الذي تلبسه، فقد هربت الى جوف الظلام والرطوبة في مشية أقرب إلى الهرولة بإتجاه أضواء وصخب الفندق.

ولايبدو أن أحداً استغرب طلبها لمفتاح غرفتها في باحة الاستقبال في الوقت الذي ترتدي فيه الروب الرجالي، لكنها رغم ذلك شعرت بالخجل الشديد.

احست بجرح كبريائها حين وصلت أخيراً الى غرفتها. فأغلقت الباب وراءها وأقفلته وهي تشعر بالدوار ولاتكاد تصدق ماحدث لها ولا ماكان منها من ردة فعل مبالغ فيها.

وقررت دون تفكير كبير أن تتصل بغرفة الخدمة لتطلب شيئاً من الطعام إلى غرفتها لأن فكرة معاودة النزول إلى المطعم كانت فكرة غير واردة لديها مطلقاً، فهي لن تقوى على مواجهة ذلك الرجل الكريه الساخر مع صديقاته الصاخبات وعلاقاته المشبوهة مع رئيستها.

وبينما هي ترتجف جلست غبريللا على كرسي التزيين الخشبية أمام المرآة البيضاوية الشكل تتأمل محياها الشاحب.

وضعت اصبعها على فمها... لم تكن قبلة عنيفة... فلماذا ينتابها الشعور وكأنها أغريت من واحد من صنف مميز؟

كانت لاتزال ترتدي الروب الحريري، وبأصابع مرتجفة نزعته عنها ورمته بغضب في زاوية الغرفة. كيف ستعيد هذا الروب إلى صاحبه، هذا أمر لاتتصور له حلاً. إن فكرة الاتصال به لهذا الغرض قد ملأتها ذعراً. لكنها على كل حال لا تستطيع أن تسلمه إلى خدم الفندق لإعادته إلى الرجل في الفيلا الخاصة به دون أن تثير الفضول وتغامر بسمعتها.

ثم كان هناك مسألة صغيرة تتعلق بثوبها. ومن المفترض أن ريك جوزيف سيسعى لإعادته في وقت ما. إذاً، تستطيع

أن تستغل المناسبة لترجع إليه روبه بأسرع وقت ممكن وتصبح بعدها جميع الأمور منتهية معه وتخرجه من حياتها بمنتهى الصرامة.

وبانشداه تفحصت وجهها جيداً فإنعكست لها عينان كبيرتان خضراوان من داخل إطار المرآة الخشبي المحفور المزركش والمصمم بشكل جميل.

لقد حضرت إلى هنا، إلى موريشيوس، لتثبت أنها قادرة على القيام بالمهمة التي أسندت اليها، هذا مايجب عليها أن تتذكره دائماً. ولهذا فإن اية مشاكل عابرة مع رجل مثل ريك جوزيف يجب أن لايكون لها أي أثر أو تاثير عليها أو على عملها.

بعد أن استجمعت قواها، غسلت وجهها في الحمام والتقطت سماعة الهاتف لتطلب وجبة خفيفة مع السلطة إلى غرفتها. إن عليها أن تتغذى جيداً وتنام جيداً وتقفل الباب على عواطفها، هذا هو النظام المطلوب للنجاح.

بحثت في حقيبتها لتخرج الرواية التاريخية التي كانت قد بدأت قرءاتها على متن الطائرة. فجلست في سريرها واستسلمت لأحداث الرواية التاريخية التي تدور أحداثها في القرن التاسع عشر.

* * *

«رحلات بالطوافة إلى جزر المجاورة؟» هزت موظفة الاستقبال رأسها بشك وتابعت:«ربما يكون ذلك ممكنا وسأحاول أن أنظم لك رحلة.»

«شكراً لك.» ردت غبريللا بابتسام وأمل. لقد كان على محياها علامات الثقة التي استعادتها مع الصباح. بعد أن

طلبت فطوراً شهياً إلى غرفتها وتناولته على شرفتها المطلة على البحر والأفق الواسع. إن رقاقات الخبز المسخَّن وشراب الفاكهة المستورد والقهوة ذات النكهة الطيبة مع الكريم أعادت إليها النشاط والعافية مع أنها لم تنم نوماً هادئاً في الليل.

كانت قد رفعت شعرها الأشقر الى الأعلى وانتعلت حذاء خفيفاً دون جوارب ولبست ثوباً قطنياً صيفياً أبيض. كانت مهفهفة وطليقة وجاهزة للعمل. رفعت إلى كتفها حقيبتها التي تحتوي على نقودها والكاميرا والمرهم الواقي من ضربة الشمس وكل ماتحتاج إليه في الرحلة. وانتظرت بتوقع.

«المشكلة في الطقس.» أجابت موظفة الاستقبال بذلك بعد أن تشاروت في الأمر مع بعض زملائها من موظفي الفندق، وتابعت:«لأن الرحلات الجوية متوقفة حالياً.»

«الطقس؟»رددت غبريللا بحيرة بعد أن حدقت في السماء الزرقاء الصافية والشمس الساطعة وسألت مجدداً:«ماالمشكلة في الطقس؟»

«الإعصار الحلزوني قادم.»

حدقت غبريللا بموظفة الاستقبال بتساؤل قائلة:«لايبدو أي أثر لأي أعصار حتى الآن، ورئيستي في لندن اتصلت بي بالهاتف صباحاً وطلبت مني بإلحاح أن أتفقد منطقة رودريغوس كموقع محتمل للتصوير حيث يوجد مناطق نائية جميلة شلالات مياه رائعة.»

«حتى أرسولا تايلور ذات الشخصية القوية لاتملك أن تفعل شيئاً حيال الطقس ياغبريللا.»

كان الصوت العميق مألوفاً عندما استدارت لتشعر بأن قلبها قد هبط من مكانه. كان ريك جوزيف يتكيء إلى حافة مكتب الاستقبال وقد بدا بسمرته المميزة جميلاً، وانيقاً بالرغم من انه يرتدي بنطلوناً أزرق وحذاء رياضياً وتيشرت بيضاء.

قالت له باقتضاب بعد أن رمقته بنظرة غاضبة:«هلاّ اهتممت بشؤونك الخاصة وتركتني وشأني؟»

«أهذا هو جزائي وقد كنت على وشك أن أعرض خدماتي الخاصة كسائق تاكسي؟»

«سائق تاكسي!!» لم تستطع أن تسيطر على فكها الذي ارتخى قليلاً من الدهشة.

«ودليل سياحي أيضاً.»أضاف بهدوء، متبادلاً إبتسامة ساحرة مع موظفة الاستقبال التي كانت ترمقه بنظرات الاعجاب.

«دعك من أرسولا. لاداعي لكي تسافري خمسمئة كلم لتفتشي عن مواقع في رودريغوس في الوقت الذي تجدين في موريشيوس كل المواقع التي تريدينها.»

«هكذا إذاً، تريدني أن أتجاهل طلبات رئيسيتي. أليس كذلك؟» ردت وهي تشعر أن غضبها بدأ بالاشتداد من جديد:«لماذا يراودني الشعور أنك تطرح حولي الأحابيل؟»

«جنون العظمة لن يتقدم بك كثيراً في عالم الأزياء ياغبريللا.» قال لها ذلك بهدوء وهو يدنو منها اكثر فاكثر متفحصاً مظهرها بشيء من الإهتمام.

تابع كلامه:«ماهي درجة استعجالك لاستكشاف المواقع؟»

اجابته:«مستعجلة جداً.» كانت حاقدة على حضوره ولكنها تحاول أن تقاوم شعورها بالعداء نحوه.

«إذاً، بما أن الرحلات الجوية سوف تتوقف إلى مابعد مرور الاعصار فإن سيارة الجيب المتواضعة خاصتي ستكون في خدمتك مقابل أتعاب يمكن الاتفاق عليها.»

«أنا متأكدة أن مجلة فيرست فلير لن تدفع سوى الأسعار العادية.» تابعت بخبث:«هذا إذا حصل وقبلت عرضك وهو أمر مستبعد.»

«إنني متأكد أن ارسولا تريدك أن تستعملي ذكاءك في تقدير الموقف.» تابع بهدوء:«إذاً اقبلي عرضي لتسهيل الأمر وإنقاذ الموقف.»

كان يبدو الحق معه دون شك. ياله من رجل ماكر. لقد وجدت نفسها فجأة في حيرة من أمرها وعاجزة عن اتخاذ القرار.

«حسناً، ولكن ماذا عن الأعصار؟» التفتت ثانية نحو موظفة الاستقبال علّها تجد عندها اقتراحاً ينقذ الموقف وسألتها:«كم سيستغرق وصوله من الوقت؟ وهل هو يشكل خطورة كبيرة؟ وهل علي أن أخابر مجلتي؟»

«الأعاصير الخطيرة قليلة جداً.» أجاب ريك جوزيف بهدوء:«وكثيراً ما تكون هذه الأعاصير عبارة عن رياح شديد السرعة وأمطار شديدة الغزارة لاتدوم لمدة طويلة.»

«حسناً، شكراً لك من أجل العرض الذي قدمته لكنني واثقة من أنني أستطيع أن أجد وسيلة نقل أخرى بنفسي.»

وبينما كانت مترددة من أن تطلب منه الانصراف بالرغم من حاجتها اليه، رجعت إلى موظفة الاستقبال التي انضم إليها مديرها.

قال المدير محاولاً المساعدة: «إذا كنت حقاً مستعجلة لاستكشاف المواقع فيمكنك أن تأخذي سيارة تاكسي أو أن تستأجري سيارة تقودينها بنفسك إن شئت.»

«لا لن تستطيع قيادة سيارة بنفسها لأنها دون السن القانونية التي هي ثلاثة وعشرون سنة، أليس كذلك؟»

قال المدير: «أجل حسناً... هذا صحيح... إذا كان السيد جوزيف مستعد للمساعدة فإنه خبير في الجزيرة ويعرف مسالكها جيداً.» أضاف المدير موضحاً: «وأنا متأكد من استقامته، وأعتقد أن هذا هو الحل السليم يا آنسة.»

«بالضبط.» قال الصوت الكسول بجانبها.

استدارت غبريللا فوجدت عينيه الذهبيتين ترمقانها بسرور لعدم قدرتها على الفصل في الأمر. بدأ قلبها بالخفقان لتضاؤل الخيارات، فاستسلمت بهزة غاضبة من كتفيها ووافقت رغماً عنها: «حسناً، لم يبق أمامي سوى قبول عرض السيد جوزيف.»

«إنه القرار الصائب.» قال وهو يمسك ذراعها مصطحباً إياها إلى خارج الفندق: «وهل علي أن أضيف أنني شديد السعادة لهذه الفرصة التي أعطيت لي لتمضية بعض الوقت في صحبتك الممتعة جداً يا غبريللا؟»

اجابته: «يقولون ان السخرية هي أقل درجات الذكاء.» ذكرته بذلك في نبرة غاضبة.

«أقدم اعتذاري.» قال لها ذلك دون أن يبدو عليه فعلاً أي

شعور بالندم، موجهاً اياها نحو موقف السيارات في الفندق حيث كان هناك سيارة جيب كبيرة مكشوفة تلتمع تحت الشمس.

«يبدو أنك تستخرجين مني طباعي السيئة.»

اجابته بسؤال ساخر: «وهل عندك طباع سواها؟» قابلت نظرته الضيقة بعينين واسعتين مفتوحتين وانفجرت ضاحكة.

«حسناً.» قال في النهاية: «إذا كنا قد قررنا تمضية النهار سوياً فلا بد من الاتفاق على هدنة.»

عضت على شفتها السفلى وحولت نظراتها عنه وهي تشعر بالخجل قليلاً من نفسها وقالت: «الحق معك. أنا آسفة. وأعتقد أن فترة من التصرف الحضاري البالغ لاتؤذي أحداً.»

«تقدمين اعتذاراً؟ هذا تقدم رائع.» قال ذلك مع ابتسامة خبيثة بينما كان يشغّل المحرك.

ورغم أنها لاحظت أنه يملك الكثير من المزايا الجميلة إلا أنها قررت أنه من الجنون الثقة به. هي تعرف القليل القليل عنه ومع ذلك تعرف أنه مخادع وسليل اسرة من القراصنة الذين كانوا أول من استعمروا هذه الجزيرة، وأنه يحمل شبهاً كبيراً من بيير.

سألته: «هل قلت ان هذا الجيب ملكك؟» وهي تجهد لتقدم حديثاً مؤدباً.

أجاب بإيماءة من رأسه، في الوقت الذي وضع فيه الآن نظارة شمسية سوداء على عينيه وبدا مركزاً على منعطفات الطريق الصاعدة من الشاطىء.

«وهل تترك سيارتك دائماً في الفندق؟»

«إنه المكان الملائم ريثما ينتهي بناء مسكني الخاص.»

«وأين تقوم ببناء بيتك؟»

«على جزيرة صغيرة بعيداً عن الشاطىء.»

ووجدت نفسها تحدق به بصمت.

ثم سألته:«جزيرة صغيرة؟ أتعني جزيرة خاصة؟»

لم يكن ذلك جيداً منها، لأنها لم تستطع إخفاء اهتمامها المهني من نبرة صوتها.

«خاصة إلى درجة كافية.» نظر إليها نظرة ساخرة وهو يلوي فمه ويتابع:«إنها ملكي الخاص، لكن لاتقولي لي انك تريدين استعمالها لتصوير أزيائك.»

اجابت بتحفظ:«أنا لم أقل ذلك، ولكن هل الوصول إليها سهلاً؟»

إذا كانت ارسولا تايلور تعرف هذا الرجل جيداً فلم لم تخبر غبريللا عن إمكانية استخدام هذه الجزيرة للتصوير؟ علماً بأنها ستكون ممتازة بالتأكيد.

«إنها رحلة قصيرة بالقارب البخاري،ولكن فيما خص هذا النهار فأنا قررت الذهاب برحلة استكشاف مواقع في أنحاء الجزيرة ياغبريللا ابتداء من منطقة سافان في الجنوب.»

الرسالة بدت واضحة جداً. إنه يريد استبعاد جزيرته. فاستسلمت غبريللا لمشاهدة المناظر الطبيعية التي تمر بها دون سؤاله مجدداً.

كان الجو حاراً ورطباً. وكانت حرارة الشمس تلفح وجهها بينما هما في الطريق. فاستخرجت نظارة الشمس

والقبعة من الحقيبة وإرتدتهما. وكان معها أيضاً قميصاً ذي كمين طويلين مطوي في الحقيبة إذا دعت الحاجة لاستعماله كحماية إضافية ضد أشعة الشمس. كان دفتر الملاحظات في يدها والكاميرا حول رقبتها وهي تطرح سيلاً متواصلاً من الأسئلة، وكانت تتحرك وتتلوى في جلستها من أجل مشاهدة المناظر والمواقع. كان هناك غابات من قصب السكر يتماوج على جانبي الطريق وأشجار نخيل تلوح بأغصانها في وجه سماء صافية بينما أعداد من القردة الصغيرة الرمادية الفاتحة تتقافز بوجوهها المحببة على أغصان الأشجار. وكانت الجبال المتنافرة القمم مغطاة بالنبات الأخضر وفوقها جميعاً كانت تدور غيوم بيضاء متقطعة وآمنة في نظر غبريللا.

إذاً، كان هذا الكلام عن الإعصار ليس أكثر من ترهيب لامبرر له.

«إن طوافة تطير على علو منخفض هي الطريقة الفضلى لاستكشاف الجزيرة.»

نظر ريك إلى وجهها المشرق عندما قدمت هذه الملاحظة. وهي ترى ممراً ضيقاً ين الجبال الداخلة في البحر وتتلاطم فيه الأمواج.

قال لها:«لو كان الطقس أكثر أماناً لأحضرتك معي في طوافتي حيث يمكنك أن تشاهدي كيف تتغير المشاهد على نحو درامي.»

يأخذها في طوافته الخاصة؟ هل كان يعني أنه يملك أيضاً طوافة خاصة؟ لقد قررت غبريللا أن تقف عن التحزر حول هذا الرجل وأن تسير مع التيار لأن الأمر لايهم طالما أنها

لاتحبه ولاتثق به، مع أنها تعرف أن هذا تحامل غير طبيعي من جهتها، إذ أنه مع كل ثروته وميزاته ونفوذه ليبدو لها شبيهاً ب بيير ويلينغتون.

تناولا الغداء في مطعم مسقوف بالقش وله اطلالة جميلة على بحيرة هادئة وخلف الصخور المرجانية البعيدة امتد المحيط الهندي وهو يلاطم الأمواج البيضاء.

اختارت غبريللا، تبعاً لنصيحة رفيقها،سلطة تفاح وطماطم ثم طبق كامرون ثم ثمرة أناناس طازجة وهذه كانت مقطعة بشكل جميل غير منفصلة عن أصلها. وفي نهاية الغداء كانت مسترخية تماماً لدرجة أنها كادت تنسى مهمتها الأصلية.

وأمامها على الطاولة كان ريك يراقبها بصبر واهتمام ومتعة.

نظر اليها وهو يتناول الأناناس بينما ينساب الشراب الأصفر منها بين أصابعه قائلاً:«مارأيك في الجزيرة الهندية التي تدعى غراند بازن؟»

قال ذلك وهو يراقبها تلعق الشراب السكري عن أصابعهاوتابع:«هل هي مناسبة لتصوير فيلمك؟»

«قلما تتناسب الجزر الهندية مع صرعات الأزياء أليس كذلك؟»

ضحك قائلاً:«لاأعتقد أن هذه الفلسفة تلائم كثيراً شخصاً طامحاً في دنيا الإزياء ياغبريللا. ماذا إذاً عن موقع البوتانغ غاردنز؟ أو بحيرة أزهار اللوتس؟ حيث هناك زنابق النيلوفر الأمازونية؟»

تجهمت بتأمل قائلة:«هي مواقع جميلة ولكن...» كانت

في الحقيقة قد أحبت الجو الهادىء هناك حيث هديل الحمام وحيث التماسيح وخفقان أجنحة الطيور الاستوائية الملونة الريش. وكان ريك قد أطلعها على أشجار بلح عملاقة تزهر مرة واحدة في عمرها الذي يمتد إلى ستين سنة ثم تموت وهي في ربيع تفتح أزهارها الصفراء.

ترددت وهي تمد يدها الى المحرمة البيضاء المنشّاة لتمسح أصابعها،ثم تفوهت بما كان قد مرّ على ذهنها منذ ساعة تقريباً قائلة: «قبل أن أضع لائحة بالأمكنة المنتقاة ألا نستطيع أن نلقي نظرة على الجزيرة خاصتك؟ إنني أعتقد أنها اذا كانت جزيرة صغيرة وخاصة فستكون ملائمة جداً لأغراض مجلتنا لأننا نستطيع أن نعمل مانشاء دون أن نعكر صفاء حياة السكان المحليين.»

«يبدو لي الأمر محيراً، ماذا يدور في ذهنك؟ هل هي حفلة في الهواء الطلق؟»

عبق لونها قليلاً وقالت:«لاتكن سخيفاً، إنك لاتعرف شيئاً عن الأمر لأن في تصوير أفلام الأزياء هناك تحضيرات وترتيبات كثيرة و...»

رفع حاجبيه تعبيراً عن عدم الموافقة ثم أكمل:«وماذا بعد؟»

«أنا متأكدة أن أرسولا ستكون شاكرة لك لو تعاونت معنا...وإنني في الواقع متعجبة كيف أنها لم تقترح هذه الجزيرة.»

اجاب بلطف:«ربما أرسولا لاتعرف عنها شيئاً.»

وضعت غبريللا جانباً عقب ثمرة الاناناس التي أصبحت على وشك الانتهاء من تناولها فالتقت عيناها بعينيه.

كان يسند ظهره بإرتياح ويحدق بنظرة ضيقة لكن دون
أن يبدو على محياه أي تعبير يمكن ان تقرأه. فشعرت بشيء
من الضيق، هل تراه كان يلهو بها؟ كلما فكرت بذلك وإزداد
شعورها بالضيق، كلما بدا هو راضياً عن نفسه.
لكن الحل الوحيد كان في البقاء ساكنة ومؤدبة.
لذا اعتذرت بأدب:«حسناً، آسفة لأنني سألتك عن
جزيرتك،» تابعت بهدوء:«وأقدر لك جهدك معي اليوم فلم
يكن باستطاعتي أن أنجز ما أنجزته بدون مساعدة دليل
خبير مثلك.»

«أكملي غداءك ووفري على نفسك العرفان المفرط
بالجميل ياغبريللا لأن المجاملة تؤذيني، سوف نكمل
رحلتنا بمحاذاة الشاطىء وستشاهدين أحد أجمل
الشواطىء على طوال هذا الامتداد.»
«على أي جهة من الشاطىء تقع جزيرتك؟» وجهت سؤالها
بطريقة عرضية، بينما كانا يسيران باتجاه سيارة الجيب
ببطء.
قال باقتضاب:«إنها تقع إلى الشمال.»
«أليس ذلك هو أيضاً إتجاه الفندق؟»
«أجل هو كذلك، ولهذا السبب أنزل أنا دائماً في الجناح
التابع لفندق سابل رويال لأنني أستطيع أن أرسي زورقي
في بحيرته وأقطع المسافة البحرية بسهولة إلى جزيرتي.
وأنت ألاتستسلمين؟ لاتخافي على مستقبلك المهني
ياغبريللا، اعتقد بأنك سوف تتقدمين.»
«إذاً، نستطيع أن نلقي نظرة على جزيرتك، ألا تريد أن
ترى كيف يتقدم مشروع بناء منزلك؟»

«سوف نرى، لأن كل الأمر يتوقف على الوقت وعلى
الطقس.»
«ولكن انظر الى السماء... ليس هناك أي اشارة على
قدوم أعصار.»
«إنظري إذاً وراءك.» استدارت لترى عتمة خافتة زرقاء
بلون الحبر تنبعث من الغيوم البعيدة.
قالت بثقة:«لكنها تتحرك بإتجاه معاكس.»
«وأنت فتاة ملحاحة قليلة الصبر.»

* * *

عندما وصلا الى الفندق، وأوقفا سيارة الجيب، كان اكثر
من ثلثي النهار قد إنقضى. نظر ريك نظرة طويلة إلى السماء
ثم إلى غبريللا التي كانت تتطلع إلى النتيجة، فقالت:«ألا
نستطيع أن نذهب؟»
نظر الى عينيها الخضراوين المشعتين لحظة ثم
قال:«حسناً إنني أستسلم، لكن لاتلقي علي اللوم إذا
وجدنا أنفسنا قابعين مكاننا طوال الليل بينما الأعصار
يعصف من حولنا.»
شيء مافي نظرة عينيه أوحى لها بأنه يستمتع
بالمغامرة، أخفت كل شعور عندها بالخوف وتذكرت
مهنتها. لابد أن ارسولا تايلور ستحبذ مثل هذه الجزيرة
القليلة السكان لتقيم عليه مشروع التصوير وأي إنقلاب في
حياتها المهنية سيلي اختيارها الشخصي لهذا المكان في
هذا الوقت رغم عدم ملاءمة الطقس لها.
وتقطعت إبتسامتها المشعة مع نظرته الباردة
وقالت:«شكراً لك، لاأعتقد أن الأمور ستتعقد هكذا.» تابعت

بثقة رافضة أن تتراجع أمام نظرته الساخرة: «وأنا متأكدة أن مجلة فيرست فلير سوف تقدر لك تعاونك معنا.»

«آمل ذلك من كل قلبي. لم يحاول أن يعلق أكثر من ذلك على اللحظة الحاسمة لكن حماسها الشديد حجب عنها ملاحظة أي شيء.

تبين أن زورق ريك زروق آلي أبيض أنيق يرسف في المرسى قرب الفندق، وكان شعورها بالإثارة لايسمح لها بالتوقف عند منظر الديكورات النحاسية اللامعة والديكورات الخشبية الجميلة والأثاث الفاخر قبل أن وجدا نفسيهما يمخران عباب المياه الزرقاء بإتجاه الشاطىء الصخري البعيد.

كانت الرحلة أطول مما توقعت، لكن في النهاية بدا لمعان الرمال البيضاء التي تتقدم غابات خضراء، ثم بدأت أعماق المحيط بالضحول لتحل محل الأعماق الداكنة طبقة من الماء الرائق الذي يشف عن حياة بحرية جميلة وبدا أن للجزيرة سدها المرجاني الخاص بها الذي يحميها من عنف هجمات المحيط.

كانت مياه المحيط تبدو في هياج أكثر فأكثر خلال الرحلة والزرقة الداكنة، في جهة الشمال بدأت تنذر بغيوم داكنة سوداء فيما كانت الرياح تشتد. ثم ها قد وصلا الى المدخل الضيق للجرف الذي بدا لغبريللا أشبه بخرم الأبرة عندما دخلا وأبطآ على طول إفريز خشبي. وحتى في داخل هذا الحوض الشديد الحماية فإن المياه كانت تعلو وتهبط وكانت الرياح على الجزيرة تهمس بين أشجار الصنوبر بهمس يشبه حفيف الأشباح.

«ها نحن وصلنا.» قال ريك ذلك وهو يطفىء المحرك ويقفز ليثبت الزورق ووقف ينظر إليها بينما هي تتردد في الخروج من الزورق.

كان هناك تعبير يصعب سبر غوره على محياه عندما كان يجيل النظر في الغيوم التي بدأت تتلبد حولهما. ثم نظر الى وجهها قائلاً: «يبدو أن الأعصار بدأ يحاصرنا ياغبريللا، فاهلاً بك في جزيرة الأفاعي.»

«جزيرة ماذا؟» أمسكت بيده الممتدة نحوها لتخرج من الزورق وهي تضحك قليلاً لتخفي الشعور الذي انتابها لملامسته، كما لتخفي تخوفها من الطقس: «ماذا تعني بكلامك؟»

«كولوفر «اسم الجزيرة» هو إسم لأفعى هندية صغيرة.» قال ذلك بنبرة تتماوج بين الملاطفة والتحذير شاداً قبضته على يدها وكأنه يخشى أن تتراجع إلى المركب من الخوف.

«شكراً جزيلاً لك.» تابعت وهي تنظر على الارض بين قدميها: «كان عليك أن تخبرني أننا قادمان إلى وكر الأفاعي.»

«هو بالكاد وكر للأفاعي.» اوضح مهدئاً من روعها وهو يقودها من المرسى إلى الشاطىء. «لاتقلقي لأن أفعى كولوفر لاتسعى غالباً إلا في الليل وهي ليست سامة. ولم أر أنا شخصياً سوى القليل منها خلال مكوثي هنا وأعتقد أن هذه الشائعة كان أطلقها جدي لإبعاد المتطفلين عن جزيرته.»

«حقاً!» ولاحظت القسوة في نبرة صوتها وعرفت أنها تصعب الأمور عمداً لانها في الواقع ما كانت لتهتم ببعض

الأفاعي الهندية الصغيرة غير السامة. خففت من حدة صوتها وهي تقول:«الجزيرة تعود إلى أجدادك القراصنة؟ منذ متى يمتلك أجدادك هذه الجزيرة؟»

«منذ القرن الثامن عشر.»

كانت تسير في إثره على الشاطىء المنحدر الذي تنمو فيه الأشجار والنباتات بغزارة ومن جميع الألوان والأحجام وأشكال النباتات غير المعروفة الزهر وجميعها لها بريق مثير حتى لتبدو وكأنها إصطناعية من اللون القرمزي إلى الأصفر إلى الزهري... لقد كان حدسها صحيحاً، فهذه الجزيرة لتبدو المكان المناسب لتصوير أفلام الأزياء.

اجابها ريك بسخرية:«أعتقد أن أجدادي القليلو الشكوك استخدموا هذه الجزيرة كمخبأ لغنائمهم التي يجنونها من القراصنة.» ابتسم لها ريك من فوق كتفه. وتابع:«هناك بقايا حطام ملفتة للنظر خلف الجرف المرجاني مثلما يوجد في أماكن كثيرة، من موريشيا نفسها، ولقد قمت عدة مرات بالغطس هناك لكنني لم آخذ أي شيء لأبرهن جرائم ثلاثمائة سنة.»

قالت بفزع:«هل تعني أن أجدادك كانوا يتعمدون إغراق السفن هنا؟»

قال وهو يتأمل خوفها بعينين باردتين:«من الممكن جداً. كانوا شلة بعيدة عن أي أخلاق كما اعتقد. لكن قانون الحياة كان هكذا. وعلى كل إمرىء أن يحتال على غيره ليعيش.»

«بالاضافة الى زوجة مستوردة لكل رجل.»قالت له ذلك باشمئزاز.

«لدي شعور أنه كان هناك الكثير من النقص في النساء رغم استيرادهن.»

قال ذلك بهزء بينما هو ينظر إلى الشمس التي حجبتها غيمة كبيرة سوداء.

«أعتقد أنني فهمت الصورة. فماذا كان أجدادك يفعلون للمأوى في هذه الجزيرة؟»

«لمدة طويلة، كان هناك نوع من المخيم هنا.»

«ماذا تعني؟»

ابتسم واجاب:«كوخ مورشيسي تقليدي لقضاء الإجازات. إنه مبني من الحجارة مسقوف بالقش وهو المكان الذي قررت أن أوسعه ليصبح بيتاً كاملاً.»

«أتعجب كيف أنك ترغب في بناء منزل في هذا المكان وتوائم نفسك مع هذا التاريخ الوضيع.» تابعت ببرود:«وماذا عن الأفاعي؟»

توقف عن المشي واستدار نحوها في ظل شجرة وقد بلغ منه الغيظ كل مبلغ، فأمسكها من كتفيهاوقال بصوت عصبي:«تمهلي.»

تأمل وجهها تحت قبعتها القطنية البيضاء بشيء من القنوط. ثم تابع بهدوء:«منذ ساعة كنت تسأليني برجاء سواء أتى الاعصار أم الزلزال لكي آتي بك إلى هنا ياغبريلا، ان أقل مايمكنك فعله هو ضبط لسانك والتوقف عن ملاحظاتك المتطرفة، من المستحيل أن يصدق المرء أن عمرك واحد وعشرين سنة في الوقت الذي تصرين على إعطاء ملاحظات بلسان سيدة في الستين من عمرها.»

«لست كذلك.»لكنها في أعماقها كانت تعرف أنه على حق

وهذا ماجعلها أكثر غضباً.«إن من حقي أن أعبر عن رأيي دون أن أتلقى التربية من جانبك.»

إبتسم قليلاً وارخى يديه عن ذراعيها تاركاً إياها فجأة.

«بالتأكيد أنت كذلك.» قال وعيناه تلمعان بالمكر.«لكنك إذا شئت أن أتعاون معك في مهمتك بخصوص تصوير فيلم الأزياء فما عليك إلا أن تهذبي هذا اللسان اللاذع وأن تتصرفي معي بطريقة فيها بعض الدبلوماسية والكياسة من الآن فصاعداً.»

اشتدت سرعة الريح وبدأت تصفر وتحول حفيف الأشجار إلى قرقعة. وبينما كانت تفتح فمها لتتكلم جاءت إندفاعة مفاجئة للريح عبر الشاطىء تدور في وسطها دوامة من الرمال وتسير بسرعة قطار خفي.

كانت خائفة جداً أخفت وجهها بيديها إتقاء للرمال وفقدت توازنها بينما إلتقطتها ريك بين ذراعيه فوجدت نفسها محاطة بهذا الدفء والأمان وهي ملتصقة بصدره بينما بدأت قطرات المطر بحجم كرة المضرب تتساقط عليهما من السماء السوداء.

الفصل الثالث

«تباً.» قال ريك بضيق مستديراً ليستعجلها بالسير بين الأشجار باتجاه البيت.

«هل هذا هو الاعصار؟» سألته وهي مبهورة الأنفاس وهي تعدو بجانبه.

«أهنئك على حسن الملاحظة يا غبريللا.» صوته العميق بدا مشمئزاً: «دعينا نصل إلى حيث نتقي من المطر قبل أن نبدأ باللوم والشتم. أليس ذلك أفضل.»

«لم أكن لـ...» سحبت الريح الكلام من فمها وصرّت على أسنانها. كانت الأمتار القليلة قبل بلوغهما البيت كمن يتسلق جبلاً عالياً وهو مثقل بالصخور، هذا هو الجهد الذي كان مطلوباً لمتابعة السير عكس الرياح. طارت قبعتها في السماء واختفت ونظاراتها حيث سقطت وتركت على الشاطىء، أما ثيابها فلقد تبللت حتى الجلد عندما وصلوا إلى البيت حيث يمكنهما الاحتماء.

«لقد حذرتك أن هذا المسكن هو مسكن بسيط.» قال ذلك بينما هما يدلفان إلى الداخل يلهثان ويقطران ماء.

وعندما استعادت أنفاسها أرغمت نفسها إلى التطلع في عينيه وهي تقاوم طبعها.

«آمل أن لا يدوم مكوثنا هنا طويلاً.» قالت وهي تتطلع إلى الأرض المرصوفة بالحجارة وعدة قطع من الأثاث الخشبي: «لكنه على الأقل ليس كوخاً طينياً.»

«لا سيدتي الجميلة. إنه ليس كوخاً من الطين.»

وبإشارة شديدة المبالغة سحب كرسياً خشبياً ونفض عنه الغبار بيده ثم دعاها للجلوس.

ثم وقف بجانبها مراقباً شعرها الذي يقطر ماء وثوبها الأبيض الملتصق بجسدها وذراعاها وساقاها المبتلتان، وفجأة إنتبهت إلى نظراته. فقالت له: «ماذا علينا أن نعمل الآن؟»

كانت العاصفة تزداد سوءاً ويرتفع ضجيجها كضجيج طائرة جامبو ساعة الهبوط. ثم قالت: «إن هذا أسوأ وأرهب صوت سمعته في حياتي.»

شعرت بألم في معدتها وتطلعت بعينين واسعتين ناحية ريك الذي كانت تبدو عليه علامات التفكير السريع.

«أعتقد أننا سنقضي ليلتنا هنا.» قال ذلك وهو يمسح البلل بيده عن شعره الأسود وجلس باسترخاء على كرسيه وتابع: «كان الأمل أن يمر هذا الإعصار دون تلف كبير لكنه على ما يبدو لن يمر بسهولة قبل أن يبدأ الطقس بالتحسن، وما دام الأمر كذلك فسأرجع إلى الزورق لأحضر بعض الإمدادات.»

قفزت من مكانها مذعورة حالما كان يستعد للمغادرة وصرخت مذعورة: «لا يمكنك العودة إلى هناك.»

«ولِمَ لا؟ فلقد حضرت من هناك للتو، الآن وقد صرت أنت في مأمن فإنني أحتاج وقتاً أقل لأكرر الرحلة، لا تخافي سوف أرجع بسرعة.»

«ريك..!» قالت وهي تمسك بذراعه فيما القلق يبدد تحفظاتها. «لا تتركني هنا وحيدة... أرجوك!»

إزداد بريق عينيه، أما صوته فصار أكثر رقة وليونة. «سيكون كل شيء على ما يرام. إبقِ هنا ولا تغادري المكان ولسوف أعود حالاً. اتفقنا؟»

لكنها بلعت ريقها بصعوبة وهزت رأسها ببطء بينما قلبها يخفق بشدة. مع كل الكلام الذي سمعته عن احتمال حصول اعصار والإشارة إلى الرياح العاتية والأمطار الغزيرة فلم يخطر في بالها أن عاصفة استوائية يمكن أن تكون مروعة إلى هذا الحد.

«اعتقد أن كل هذا بسببي... أعني لو لم اطلب منك أن تحضر إلى هنا...»

قاطعها بهدوء: «أنا من يتحمل المسؤولية الكاملة. كان القرار قراري لهذا كفي عن لوم نفسك وانتظريني.» وفتح الباب، فنفخت الريح كأنها وحش كاسر خفي، أرسل نحوها ابتسامة خفيفة.. وبرغم كل ذلك تمكنت من أن تبادله الابتسام.

عندما صارت لوحدها تنهدت وهي تشعر بالخجل لظهورها بهذا الضعف.. يقولون ان الشدائد تمتحن طبيعة البشر، فهل هي جبانة إلى هذا الحد؟ وهل هي سليطة ومسيطرة كسيدة في الستين من عمرها؟

عضت شفتها بأسى، والقلق يملأ كيانها. ربما بعد تجربتها الفاشلة مع بيير صارت قاسية وعدوانية مع الرجال. في الحقيقة كانت تعرف أن هذا هو الواقع... لقد صار يصعب عليها أن تصدق أن أي رجل يمكن أن يتصرف دون دوافع دفينة... لكنها كانت تتصرف على نحو ساخر، أليس كذلك؟ فهذا ريك جوزيف يتجشم المصاعب ويعرض

نفسه للأذى اليوم من أجلها، ويحق له أن يعتقد أنها أسوء النساء طباعاً وأضعفهن شخصية. وبما أن معظم المسؤولية تقع عليها في ما هما عليه، فمن الواجب عليها على الأقل أن تترك التفكير بنفسها وأن تتصرف بتجاوب وإيجابية.

وهكذا نهضت وبدأت تفكر فيما يمكنها أن تعمله. بدأت تبحث عن الطعام، عن الكهرباء، وفتشت في خزائن المطبخ فلاحظت توفر الكهرباء وأيضاً وجود بعض الفحم والشموع وموقد على الغاز.

لا شك أن الأمور يمكن أن تكون أكثر سوءاً، قالت لنفسها وهي تتابع البحث. فقد كان من الممكن أن يتشردوا على هكذا جزيرة دون مأوى أو أن يداهمهما الإعصار وهما في وسط المحيط وأن تتقاذفهما الأمواج العاتية في هذه اللحظة.

كان الكوخ كله من طبقة أرضية واحدة مرصوفة بالحجارة، وفيه غرفة واسعة للجلوس وترّاس يواجه البحر. وعندما لا يكون هناك إعصار فإن الجلوس على هذا التراس متعة كبيرة تحت سقف الأغصان الممتد. كان هناك أيضاً حمام ومرحاض أما وسائل تكييف الهواء فكانت مقتصرة على مراوح كهربائية في السقف.

وعندما قال ريك إن البيت بدائي التجهيز فإنه يعني بذلك مقارنة بالبيوت التي يسكنها في نيويورك وباريس ولندن.

فهذا البيت رغم بساطته كان فيه جمال خاص. فالجدران مطلية باللون الابيض علق عليها لوحات زيتية، ربما تعود لفنان محلي، وكان هناك خزانة عامرة بالكتب باللغتين

الفرنسية والانكليزية تتنوع مواضيعها بين السفر والتصوير والقصص البوليسية. أما الأثاث المصنوع من خشب الصنوبر فكان يعطي انطباعاً ريفياً.

وحينما وصلت إلى غرفة النوم توقفت لتلاحظ أن هناك غرفة نوم مربعة صغيرة واحدة وبداخلها سرير مزدوج من خشب الصنوبر بسيط الصنع وخالٍ من أي فراش أو أغطية. خفق قلبها ثانية وصارت تغلي وتبرد، إذ كيف يمكنها أن تستعمل سريراً مزدوجاً واحداً مع ريك جوزيف؟ إنها لتفضل النوم على الأرض على أن تشاركه السرير.

«أرى أنك اهتديت إلى غرفة النوم.» صدر الصوت من خلفها وهذا ما جعلها تثب من مكانها. كان مبللاً ويحمل كيسين من البلاستيك منتفخين بالمحتويات.

«لم أنتبه لقدومك.» قالت ذلك وهي تضغط بكفها على صدرها. «لقد أرعبتني.»

أنزل حمله إلى الأرض قائلاً: «إهدئي يا غبريللا، أنت متوترة كالهرة.»

«نعم أعرف ذلك، لكنها الريح التي يبدو أنها ستحطم المكان في أي لحظة هي سبب توتري.»

إبتسم وهو يمرر أصابعه في شعره المبلل ويقول: «أعتقد أن الدنيا سوف تستمر بعد أن يستهلك هذا الإعصار نفسه.» ثم إنحنى ليفتح سحابي الكيسين. ولشد ما دهشت عندما وجدت أنه قد جلب كيسين للنوم، مناشف، سراويل، قمصان تيشرت إضافة إلى قوارير ماء وكيس من الطعام المبرد.

«أكاد أظن أنك رتبت كل هذه الأحداث سلفاً.» قالت له ذلك بشيء من المزاح.

«مع ذهن شديد الشكوك مثل ذهنك يا غبريللا، أنا لا أتعجب لمثل هذا الاستنتاج.»

نهض ليرمي كيسي النوم على السرير وليضع المناشف على ظهر الكرسي وقال: «لتذكيرك فقط، إن الغداء يوضب دائماً في مركبي عند كل رحلة أقوم بها وتحتاج مني أن أنام هنا. وهناك شركة خاصة تقوم بهذه الخدمة وتملأ البراد بالطعام.»

«إني أصدقك.» قالت بنوع من قلة الصبر وهي تجيل النظر ببعض التردد الى السرير: «لست مسرورة في الحقيقة لمشاركتك السرير.»

«حقاً؟» قال بلهجة جافة بينما كان ينقل الطعام والماء إلى المطبخ: «إذا أهلاً وسهلاً بك، تستعملين أحد كيسي النوم على الأرض حيث تسعى أفاعي كولوفر يا صغيرتي، أما أنا فاعترف أنني لست شهماً وشجاعاً إلى هذه الدرجة.»

«هكذا إذاً؟» كانت تغلي غيظاً، بينما تحولت الحرارة عندها إلى إرتجاف وإرتعاش، فلفت ذراعيها حول نفسها وجلست بسرعة على أحد الكراسي الخشبية.

نظر إليها ملياً، في لحظة تفكير ثم وضع الطعام على الطاولة الخشبية في المطبخ وعاد ليمسكها من يدها لتنهض وهو يقول: «إذهبي إلى غرفة النوم وضعي عليكِ بعض الثياب الجافة. يوجد منشفة وبعض السراويل القصيرة وقمصان التيشرت ليست من ماركة فاخرة ولكنها تبقى أفضل من الثياب المبللة.»

«أجل، معك حق.» استدرات لتذهب ثم توقفت على نحو

مفاجيء لتقول: «عندما أعود سأتولى شؤون الأعمال المنزلية وسأحاول أن أطهو شيء ما من المواد الغذائية المتوفرة.»

«كما تريدين، إن ما يسعدك يسعدني فقد يكون الليل طويلاً.»

لم ترد عليه، بدلاً من ذلك دخلت غرفة النوم لتبدل ثيابها.

أما الثياب التي أحضرها ريك من القارب فكانت تعود إليه بلا شك وكانت مقاساتها كبيرة بالنسبة لغبريللا.

خرجت بعد قليل وهي ترتدي بنطلوناً كاكي اللون وقميص تيشرت فضفاضة سوداء. شعرت أنها أفضل بكثير لكن الارتعاش بقي بالرغم من شعورها بنوع من الجفاف والدفء.

«سأذهب لأبدل ثيابي مثلك.» قال ريك ذلك وهو يبتسم لزيها الجديد وتابع: «لقد جهزت ماءً ساخناً للقهوة.»

«حسناً.» قالت موافقة وهي تحاول أن تحافظ على النشاط في صوتها، هذا الوضع العائلي فرض نفسه بينهما وكأنها قد قضت معه الكثير من الليالي سابقاً في مثل هده الظروف.

وبينما تولت عنه تحضير القهوة، وجدت علبة من الحليب واكتشفت أنها تجهل كيف يفضل قهوته مع الحليب أم من دون حليب بسكر أم بدون سكر، سيما وأنها لا تعرف عنه شيئاً.

«رائحة هذه القهوة طيبة.» حين وجدها تحمل بيديها

علبة حليب وعلبة سكر، اضاف: «لا شكراً، لا حليب ولا سكر.»

كان قد جفف شعره بمنشفة وإرتدى سروال بيرمودا وقميص بحرية فضفاضة. لقد بدى أنيقاً ومرتاحاً وكأنه لا يحمل أي هم من هموم الدنيا.

«لقد أخذت حماماً ساخناً، إذهبي أنت وخذي واحداً أيضاً.»

«نعم حسناً، لم يخطر ذلك ببالي. هل سيفتقدنا أحد.؟

قالت ذلك وهي تجلس وفي يدها فنجان من القهوة مع الحليب.

شرح لها: «لقد خابرت المرفأ من القارب. وسوف يخبرون الفندق بذلك وسيتوقعون عودتنا عندما تهدأ العاصفة وإلا فإنهم سيرسلون الطوافة في إثرنا.»

«حسناً.» قالت وهي ترتشف قهوتها وتنظر في ساعته. ثم نظرت من خلال النافذة وقالت: «بعد قليل سيعم الظلام أليس كذلك؟ من حسن الحظ أن هذا المكان منار بالكهرباء.»

«التيار يمكن أن ينقطع في أي لحظة لأن العاصفة تشتد.» تابع بإبتسامة خفيفة : «وهكذا فإذا كنت ترغبين حقاً في نوم دافىء فما عليك سوى أن تبادري الآن.»

«أتعني أننا يمكن أن نغرق في الظلام بشكل تام؟»

«لا،يوجد عندنا بعض الشموع وبعض الحطب بقرب الموقد ويمكنني أن أوقد ناراً إذا كان ذلك يرفع من معنوياتك.»

«فكرة جيدة.» إرتجفت ثانية ومسحت بأصابعها فوق جبهتها. وتابعت: «هل يمكنني ان اتركك لآخذ حماماً دافئاً؟»

اجابها باستهزاء: «خذي راحتك ياغبريللا، واذا حافظت على هذا السلوك الحضاري فإنني مستعد لأن اسحب جميع انتقاداتي.»

هبط الليل بسرعة معززاً بالسماء السوداء بفعل العاصفة بينما التمع الضوء الكهربائي في داخل الحمام فنزلت في المغطس وأسالت الماء الدافىء على جسدها وبدأت تشعر بالراحة من الارتجاف والدوار. عندما عم الظلام المكان وصار الماء بارداً، أطلقت صرخة مكبوتة وخرجت من المغطس تفتش عن المنشفة في وسط الظلمة الحالكة بينما كان صوت الإعصار مجلجلاً ومخيفاً أكثر من الأول بمئة مرة.

«هل أنت بخير يا غبريللا.» جاء صوت ريك من وراء الباب بارداً وهادئاً.

«نعم، لا، آه، تباً...» كانت قد أذت إبهام قدمها بزاوية المغطس فوقعت من جديد في الماء لترتجف أكثر من الأول بشكل عنيف ولتقول: «إنني لا أجد المنشفة.»

«لا تخافي سوف أحضر لك شمعة.» قال ذلك وفتح الباب وعندما أنارت الشمعة الحمام الصغير، توقفت غبريللا عن حك إبهامها وادارت وجهها بلهفة تبحث عن المنشفة الضائعة، إنحنى ريك والتقط المنشفة التي سقطت بجانب المغطس فتلقفتها من يده بسرعة مجنونة بينما لاحظت عينا ريك ترمقانها تحت ضوء الشمعة.

«هل يمكنك ان تخرج الآن؟» قالت بغضب بينما دموعها تكاد أن تنهمر...

قال بهدوء: «اعذريني.» واضعاً الشمعة على الرف ومستديراً للخروج.

كان هناك بريق غامض في عينيه عندما استدار نحوها مجدداً قائلاً: «أوقدت ناراً وأعددت بعض الطعام. تعالي عندما تصبحين جاهزة.»

شعرت بالخجل من ردة فعلها العنيفة، نهضت من الماء بسرعة ولفت المنشفة حولها دون أن تنبس بكلمة.

كانت النار قد صارت في أوج استعارها عندما وجدت الشجاعة الكافية للانضمام إليه. أما رائحة الطعام فكانت شهية جداً، وتوزعت الشموع في كل مكان مضيفة البهجة الى الجو.

«ماذا تطبخ؟» قالت وهي تنظر من فوق كتفه الى وعاء صغير، كان فيه بعض الرز ينضج مع ما يشبه شرائح من لحم الغنم والدجاج وبعض الخضار المتنوعة.

«إنني أطبخ كل ما وجدت في ثلاجة القارب مضافاً إليها قارورة من توابل الكيري.» نظر إليها وأضاف: «هل تخلصت من ورطتك؟»

«نعم أنا آسفة لأنني تصرفت كما تصرفت.»

«لا داعي للاعتذار.» قال ذلك وهو ينقل نظراته الذهبية على قوامها.

ابتسم بسخرية ونعومة وهو يحرك الطعام بملعقة خشبية.

«حسناً.» نظرت حولها تفتش عن شيء تفعله. فسألته: «هل علي أن أرش الماء على الأرز؟»

«طبعاً، يمكنك تولي الأمر كله هنا إذا شئت بينما أحضر أنا الشراب. أتريدين الكولا أم عصير الليمون؟»

«كولا لو سمحت.» كانت تحس بضربات في صدغيها وبألم في حلقها.

«هذا رائع.» قال لاحقاً بينما كانا يتناولان عشاءهما تحت ضوء الشموع وأمام المدفأة.« لا شيء مثل الإعصار يجبر الناس على تناول العشاء مع بعضهم البعض.»

اجابته وهي تضحك: «مهما كان هذا الخليط فإنه يشكل طبقاً رائعاً.

الآن أظنني أعرف مهنتك السرية، فأنت طباخ ماهر.»

«هل هذه مجاملة؟ أنت تجعليني عصبياً يا غبريللا لا شيء سري حول مهنتي. إنني مجرد شاب طائش لعوب، أليس كذلك؟»

«أعتقد أن هناك أشياء أخرى غير ذلك أيضاً.»

قالت ذلك وهي تأخذ جرعة كبيرة من كوبها وتضع شوكتها على الصحن. إرتفع ضجيج العاصفة إلى ما يشبه هجوماً بالقنابل لمقاتلات حربية. كان عليهما رفع صوتيهما ليتمكنا من السمع.

«أشكر حظي على وجودك بقربي، فلو كنت وحدي في وسط هذه العاصفة لانتابني الفزع.»

«أهلاً بك.» قال وهو يتفحص كوبه ويلقي نظرة فاحصة من فوق الطاولة على غبريللا. ثم سألها بعد تفكير: «قولي

لي ماذا حدث معك يا غبريللا حتى جعلك شديدة التحفظ إلى هذا الحد، هل هي طفولة تعيسة أم تجربة حب فاشلة؟»

«كانت طفولتي سعيدة جداً، شكراً لاهتمامك.» وبدا عليها الشعور بالتحفز من جديد.

«إذاً، لعل المشكلة تكمن في قصة حب فاشلة. فما الذي حصل؟ ألا يخفف عنك إذا أخبرتني ما الأمر؟»

هل تراها ستخبر ريك جوزيف القصة المذلة عن عذابها مع بيير؟ إنها لتفضل الموت على ذلك.

«لا، في الحقيقة هذا لا يخفف عني.» قالت له بصراحة مخففة من وطأة كلامها بابتسامة باردة واردفت: «ثم أنت لست ذلك النوع من الرجال الذي يشجع الآخرين على البوح بأسرارهم أمامه لأنني لم أرَ في حياتي شخصاً متكتماً مثلك.»

ضحك وقال: «تبدين سعيدة في اصدار الاستنتاجات على مزاجك.»

نظرت إليه وهي تشعر بطعنة احباط: «ماذا تعني؟»

«أعني أنك على ما يبدو تصدرين الأحكام والإفتراضات عن تاريخ الآخرين وسيرة حياتهم يا غبريللا.»

سألته ببساطة: «هل تعني استنتاجي أنك على علاقة مشبوهة مع أرسولا تايلور؟»

شعرت أن وجهها يصبح اكثر احمراراً. فاعتذرت قائلة: «إنني أعتذر لأنه ليس لي الحق بالفعل في مثل هذا الاستنتاج ولكن... هل أنت؟»

بقي صامتاً لفترة طويلة، وعيناه عابستان: «لا أجد سبباً لكي أؤكد أو أنفي لك ذلك.»

تمتم أخيراً بصوت خفيض: «لكنني أيضاً لا أرى أي سبب يجعلك تستنتجين أي دليل على وجود موعد بيني وبين أرسولا.»

قالت باقتضاب: «ربما أننا ننجرف إلى موضوع حرج وخصوصي.»

لقد كان حاذقاً في الإجابات المواربة. فكرت في الفتيات الجميلات عند المقصف وقررت أن لا تتابع هذا الموضوع أيضاً. وفي محاولة منها لتجنب المواضيع الشائكة قالت له: «لماذا تفضل السكن في الفندق عندما يكون عندك هذا البيت؟»

التمعت عيناه بالفرح: «وهل أعجبك؟»

«نعم أعتقد أنه مسكن جميل.»

رد بهدوء: «أنا لا أنكر أنني قلت انني لا أقيم هنا أبداً. كثيراً ما آتي إلى هنا لقضاء ليلة أو ليلتين. ولكن إذا كان عندي أي أعمال يجب متابعتها فمن الأسهل عليّ التواجد في الفندق.»

«حسناً.» عاودتها الرجفة مع بعض الآلام في أنحاء جسدها.

فأزاحت صحنها وأفرغت كوبها ونهضت وهي تتهادى قائلة: «آسفة، لا أشعر أنني على ما يرام.»

«تعتذرين ثانية؟» استدار حول الطاولة ليمسك بذراعها. ويقول: «تبدو أن هذه عادة عندك، تبدين متعافية وبراقة العينين يا غبريللا. هل تشعرين بالحمى؟»

«لست واثقة من شعوري. ماهي تلك الضجة؟»

قالت ذلك حالما سمعا صوت تحطم ممزوج بصوت الريح

العاتية في الخارج. أحكم ريك ذراعيه حول كتفيها وضمها إلى صدره.

«يبدو أنه صوت اقتلاع شجرة من جذورها... تعالي، من الأفضل لك أن تنامي.»

«أعتقد أنك على حق.» اعترفت بأسى وهي تشعر بخفة ودوار في رأسها بحيث أنها لم تستطع الاعتراض على حمله إياها بين ذراعيه إلى غرفة النوم حيث وضعها على السرير وذهب لإحضار شمعة ثم عاد ليجس بيده جبهتها وينظر إليها متجهماً.

«أنت تشتعلين بالحرارة.» قال بصوت منخفض ولكن بعينين قلقتين: «هذا ليس الوقت المناسب للإصابة بالحمى يا غبريللا.»

كان يمزح، هي علمت ذلك، ولكن فجأة شعرت بالدموع تنهمر من عينيها. شعرت بالخجل من نفسها، وعندما وجدت صوتها قالت وهي محبطة العواطف: «ترى ماذا يحدث في اعتقادك؟»

«حسناً أغلب الظن...» قال وهو يلامس يدها بكفيه بطريقة أخوية: «لقد وصلت إليك عدوى الانفلونزا الفاشية في مجلة فيرست فلير.»

«لا تقل لي هذا!» استدارت على الوسادة وأغمضت عينيها بيأس.

«لكن الدكتور جوزيف حاضر للإنقاذك لأنني أملك بعض حبوب الأسبرين في القارب.»

«في القارب؟» جعلها الجزع تنهض جالسة وتمسك يده: «ريك لن تخرج مرة أخرى. هل تسمعني جيداً؟ أفضل أن

أموت على أن أراك تخرج هذه الليلة وسط هذه الرياح مرة ثانية! هل تعدني بأن لا تخرج؟»

اجابها محاولاً تهدئتها: «هدئي من روعك، أعرف أن في الأمر مجازفة كبيرة لكنني أقبل المجازفة بصدر رحب في سبيل آنسة مثلك.»

«لا،لا. عدني أن تبقى بجانبي؟» قالت وهي تبكي: «أتوسل إليك؟»

«حسناً كما تشائين. سوف أبقى إلى جانبك.» قال ذلك بابتسامة ونظرة خبيثة في عينيه، بينما فرش واحد من أكياس النوم وساعدها في النزول فيه. «أنت على حق ستكون مجازفة حياة أو موت.» اتسعت الابتسامة في عينيه بقدر ما تلاشت الشكوك في عينيها فأكمل يقول: «جميل جداً أن أكتشف أنك تكترثين لسلامتي يا غبريللا!»

قالت بمزاح: «أيها المحتال. كيف باستطاعتك مضايقتي بينما أنا في مثل هذه الحالة؟»

«أخيراً جعلتك تضحكين.» قال وهو يقفل سحاب كيس النوم الذي تستلقي داخله ويراقب المشاعر المتناقضة التي تظهر على وجهها بنظرة فاحصة. «والآن فكري معي هل تحملين أي دواء معك يمكن أن ينفع في تخفيف الحرارة مثل المسكنات مثلاً؟»

هزت رأسها بالنفي بينما اجتاحت رأسها موجة من الألم. «كلا ليس معي هنا أي دواء كلها موجودة في الفندق.»

وأطلقت أنيناً موجعاً وهي تقول: «يا لي من حمقاء،

ماذا دهاني؟ ماذا أصابني؟ ماذا علي أن أفعل؟»

«عليك فقط أن تتصرفي بهدوء قليلاً حسب الطريقة التقليدية.» اردف محاولاً مواساتها: «ومن الأعراض البادية عليك يا صغيرتي فإنه ليبدو أننا سنمضي ليلة قاسية على أكثر من صعيد.»

الفصل الرابع

كانت سرعة إرتفاع الحمى صاعقة مثل إبتداء الإعصار فبين لحظة وأخرى تحولت غبريللا من الشعور بألم حاد في رأسها وجميع أطرافها وعضلات جسدها إلى إرتجاف عنيف مع اصطكاك في الأسنان.

عاد الى غرفة النوم مع كوب من الماء ليحملق في وجنتيها الملتهبتين وعينيها الملتاعتين فإنحنى عليها يمرر كفه على جبهتها الرطبة وهو يتمتم بأصوات غير مسموعة. نظرت غبريللا إليه وهي تشعر بقربه لكنها تحسبه يكلمها من وراء ضبابة، كما أنها كانت تشعر بزيادة خفقات قلبها كلما لامسها. كيف يلازمها هذا الشعور الغريب تجاهه في الوقت الذي تكاد فيه أن تكون على حافة الموت من إصابة بذات الرئة أو أي شيء آخر؟

«لا بد من أن تخلعي هذه الملابس.» قال ذلك وهو يفتح سحاب الكيس، «لا يمكنك أن تطردي الحرارة بينما أنت ترتدين كل هذه الثياب.»

احتجت بضعف شديد: «أستطيع أن أخلع ثيابي بنفسي.»

«حسناً برهني لي ذلك.»

لكن ذراعيها بدتا ثقيلتين لا تقويان على الحراك، أما رأسها فكان هو الآخر ثقيلاً والإرتعاش لا يفارقها دقيقة واحدة.

وبدأ وجهها يؤلمها بوجود إرتعاشات وتشنجات في فكيها.

لاحظ صراعها اليائس للحظات قبل أن يمد يداً قوية حولها وينهضها من السرير وبدأ يحل ازرار جاكيتها... وبين اصطكاك أسنانها كانت تقول: «أستطيع أن أفعل ذلك بنفسي، هل أنت أصم أم ماذا؟»

«أم ماذا.» كانت تلك إجابته واستمر في مهمته.

وتيبست بين يديه وكأنها دمية لا حياة فيها.

«حسناً يا غبريللا يمكنك الاسترخاء الآن. لست مغتصباً للأطفال يا صغيرتي كما تلاحظين.»

«مغتصب أطفال؟» سمعت نفسها تحتج: «أنا لست طفلة لقد قلت لك عمري واحد وعشرين سنة كم عمرك أنت؟»

اجاب بسرعة: «ثلاثة وأربعون. لكنني بالغ بمقدار عمري بينما أنت بالتأكيد لست بالغة بمقدار عمرك.»

«أنت وضيع.» تابعت وسط هذيان الحمى: «ما دمت أنا في أمان إلى هذا الحد فكيف لك أن تعترف أن أفكارك لم تكن نظيفة تماماً من قبل؟»

«أنا لا أنكر أنني قلت هذا.»

قال وهو يجلس على حافة السرير مغطياً إياها نصف تغطية بكيس النوم من جديد: «أنا قلت فقط إنه لم يكن عندي أي قصد لعمل أي شيء لأن حياتي معقدة إلى درجة كافية دون إغواء المراهقات المصابات بالأنفلونزا. ألا تشعرين بألم في حلقك؟»

«لا،لا. فقط صداع، أشد نوع من أنواع الصداع، ولا

أستطيع التوقف عن الارتعاش، لقد توقفت عن المراهقة في التاسعة عشرة من عمري.»

قال بسخرية: «منذ عشرات السنين في الواقع. وحالتك هي حالة توقف عن التطور.»

ناحت على الوسادة في مزيج من البكاء والضحك. ثم قالت: «لا بد أن ذنوبي كثيرة حتى اصل الى هذه الجزيرة تحت وطأة الحمى بينما تكون أنت الممرض القائم على العناية بي.»

«أنا أيضاً لست شديد السرور لمثل هذا الألم.»

قال باقتضاب: «لا تبدئي بتقديم إعتذاراتك من جديد.» فقط حاولي أن تظهري بعض التعاون، مفهوم؟»

مروّضة تماماً. ابتسمت له بينما عيناها تلمعان وقالت: «مفهوم، مفهوم.»

كان كلامها يشبه نوعاً من الهذيان. توقف الارتعاش ليحل محلها حرارة شديدة وشعرت بأنها ستذيب عظامها. لقد كانت هذه الحرارة أرحم من الإرتعاش لولا هذا الألم المستمر في أطرافها وعظامها ورأسها وحتى الكلام صار صعباً عليها. كل ما قالته: «صار إسمي الآن الآنسة «تعاون.»

وأخذها النعاس بينما الإعصار يشتد في الخارج والريح تصفر وتزمجر. وفي داخل غرفة النوم كانت ذؤابات الشموع تتمايل طارحة شتى الأخيلة والأشباح على السقف. استولى عليها نوم محموم عميق بينما صورة ريك بجانبها مطبوعة في لا وعيها بشكل صامت.

وكانت أحلامها مليئة بالعواطف والأفاعي والقراصنة.

حلمت بأنه ألقي القبض عليها وأخذت أسيرة وسط الخطر والظلام، وحلمت بأن ريحاً مجنونة تهب وأنها محاطة برجال يحملون السكاكين وأن أحدهم قد حبسها في زاوية ما في سفينة وأوثقها جيداً بحيث لا تستطيع الإفلات. ورغم العاصفة فقد تسربت شمس الظهيرة من سماء زرقاء باعثة الدفء في جلدها جاعلة إياه أكثر سخونة حتى شعرت أنها سوف تحترق، فصرخت طالبة النجدة وأن من أتى لنجدتها كان يضع قناعاً أسود واعتقدت أنه ريك، لكنه عندما اقترب منها ورفع القناع تبين أنه بيير بشعره الكستنائي الغامق فوق عينيه الرماديتين وكان يحمل بيده سيفاً رفعه فوقها ولم يكن هدفه فك وثاقها بل إيذاءها وأنها بكل ما أوتيت من قوة بدأت تقاوم كالقطة الشرسة لإنقاذ نفسها.

«غبريللا.. غبريللا.. مهلاً.. أنت بخير.. أنت بخير..»

سمعت صوته العميق مخترقاً حرارة الحمى والكوابيس.

شعرت بيد باردة تحركها على الوسادة الرطبة في كيس النوم.

فتحت عينيها لتجد نفسها بين ذراعي ريك حارة وترتجف والتيشرت السوداء دبقة ورطبة حولها.

«ماذا؟ ماذا يحدث لي؟» قالت ذلك وهي ذاهلة تماماً قبل أن ترتمي على صدره.

اجابها: «باختصار كنت تقضين مضجعي. فلقد حاولت أن أنام على الأرض طيلة الليل.» بعد قليل، عاد وأزاحها عنه قليلاً ثم إنصرف لإشعال شمعة جديدة. تفحصها من جديد. «أنت مصابة بحرارة مرتفعة جداً، عليك تبديل ثيابك.»

كانت أضعف من أن تحتج أذعنت لتبديل التيشرت السوداء بواحدة خضراء فضفاضة أيضاً.

قالت بضعف: «أعتقد الآن أنني حللت لغز مهنتك، إنك صاحب معمل لقمصان التيشرت.»

إبتسم فجأة فالتمعت أسنانه البيضاء من خلال وجهه الأسمر، «أخطأت مرة ثانية، سأجلب لك المزيد من الماء.» كان صوته ساخراً عندما دخل الغرفة مجدداً وبيده كوباً من الماء «كيف تشعرين الآن؟»

«سيئة جداً.» تابعت بصوت أبح وهي ترشف الماء: «أشعر كأنني تصارعت مع قوة ماحقة وأشعر بالألم في كل كياني، لقد شهدت أسوأ كابوس في منامي... أفاعي وقراصنة وسكاكين و...»

قال ببراءة: «وبيير أيضاً.» ركزت غبريللا نظرها عليه من تحت جفنين ثقيلين ثم خطر على بالها أنها ربما تكون قد ذكرت إسم بيير أثناء نومها.

وضعت كوبها بشدة بجانب السرير ورمت رأسها على الوسادة وأغمضت عينيها.

«نعم بيير. كان في وسط أحداث الكابوس.» قالت بتعاسة وموجات من الغثيان تجتاحها بينما عاودتها الارتعاشات: «أعتقد أنني أموت.»

«الفتيات اللواتي يبلغن الواحد والعشرين من عمرهن لا يمتن عادة من إصابة إنفلونزا.» تابع ريك كلامه بخشونة: «حتى ولو كنّ محرومات من الإسبرين.»

لكن يده كانت حنونة عندما لامست جبهتها. خصلات من شعرها الأشقر أفلتت من التسريحة متجعدة قليلاً بسبب

التبلل بالمطر. رفع هذه الخصلات عن عينيها وكانت لمسته هادئة وباعثة على الثقة. وبينما كانت تتأرجح بين الوعي وبين النوبات المتقطعة، مما يقارب الهذيان، فقد كانت برغم ذلك مرتاحة لوجوده امامها في مرضها.

اهتز الفراش عندما تركها، وشعرت بالحرمان، فيما كان هبوب العاصفة لا يزال على حاله من الهياج والشدة. وعندما استفاقت من نومها القلق كانت غرفة النوم بأنوار شموعها المتراقصة أقرب إلى الأجواء السريالية المفزعة. وعندما اختلج السرير من جديد وأيقنت أنه عاد إلى الجلوس بجوارها كان شعورها بالارتياح غامراً.

لقد وضع شيئاً بارداً على جبهتها ودون أن تعرف بالضبط ماذا كان يفعل اقتربت منه ولفت ذراعيها حوله. قالت بضعف: «لا تغادر مرة ثانية. لا تتركني لوحدي.»

آخر شيء أحست عليه، قبل أن تنجرف في نوم مقرون بالحمى والهذيان كانت، ذراعا ريك تطوقانها بشدة وتضمانها إلى صدره بينما يده تداعب شعرها في حركة مهدئة جعلتها تشعر بالحماية والأمان وبدرجة غير معقولة من السعادة.

وعندما استيقظت أخيراً كان النهار قد حل، لم يكن نهاراً مشرقاً لكن الضوء كان يتسرب من خلال الستائر.

وفي اللحظات الأولى من استيقاظها، كانت تجهد ذهنها لتعرف أين هي. كانت قواها خائرة وبدأت تحدق بشحوب في الجدران المطلية باللون الأبيض وبالمرآة ذات الإطار الخشبي بالباب المصنوع من خشب الصنوبر، وفيما هي تحاول الجلوس، عادت

ذاكرتها فجأة. إنها في جزيرة ريك مع الإعصار والأنفلونزا.

كانت وحيدة في السرير، رفعت نفسها إلى وضع الجلوس، فأيقنت أن الاعصار قد توقف ولم يبق سوى النسيم في الخارج. وهكذا فإن الاعصار يكون قد إنتهى.

أنزلت قدميها إلى الأرض وحاولت الوقوف ولكن كل القوة كانت قد سحبت من عضلات قدميها. لم يكن الحمام بعيداً عنها ولكن المشي إليه كان يشبه المشي على سطح القمر.

وحالما وصلت إلى باب غرفة النوم، أدارت بيدها مقبض الباب فانفتح واختل مع حركته توازنها فتمايلت بشكل خطر، عندها دخل ريك وأمسك بها بقوة بين ذراعيه.

حدقت فيه، كان قد وجد شفرة حلاقة على ما يبدو لأنه كان حليقاً. وبدا في بنطاله البيرمودا والتيشرت البحرية طويلاً وعضلياً ومدهشاً في نظرها.

«صباح الخير.» اردف بلهجة غير مقروءة وهو ينظر إليها: «يبدو أنك تجاوزت ذروة المرض. عظيم.»

«في أي ساعة نحن الآن؟»

«كان عليك أن تسألي في أي يوم نحن الآن.» تابع وهو يضع يده على ظهرها ويدفعها صوب باب الحمام: «أفترض أنك كنت تسيرين في هذا الإتجاه، إذا أردت أن تأخذي حماماً فإن الكهرباء قد عادت، ولم يكن هذا بأسوأ إعصار في التاريخ...»

قاطعت كلامه لتسأله: «ماذا تعني بقولك أي يوم هو؟ إنه يوم الأربعاء الذي أتى بعد أمس الثلاثاء أليس كذلك؟»

«بل هو يوم الخميس.»

«ماذا تقول؟» توقفت وهي تحملق فيه وتتمسك بمقبض الباب لتسند نفسها إليه: «هل أنت جاد؟»

«كلياً.»

«هل تعني أنني خسرت يوماً كاملاً في النوم؟»

«بشكل عام في النوم، لكن تخلل النوم حمى وهذيان واقتراحات عاطفية موجهة إلي.»

شعرت بالخجل الشديد وهي تحدق في عينيه الساخرتين وقالت: «كلا أنا لم أقدم هكذا اقتراحات!»

«لا تخجلي، فأنا لم آخذ مأخذ الجد أي من هذه الاقتراحات.»

كم تمنت لو أنها تملك من القوة ما يمكنها من صفع وجهه الساخر.

«لا يمكنني أن أقول ذلك، وحتى لو قلت فليس من اللائق بحقك أن تخبرني عن هذه الأقوال... يا للهول! وماذا عن عملي؟ لا بد أن الجميع قد وصلوا إلى موريشيوس في هذا الوقت بينما أنا لم أفعل شيئاً.»

قال ينصحها: «اهدئي يا غبريللا. فحتى لو لم تصابي بالانفلونزا فلم يكن بوسعك عمل شيء قبل أن ينقضي الإعصار، ثم ماذا عن جميع هذه الملاحظات التي دونتيها في موريشيوس وكل الصور التي التقطّها، لا يمكنك أن تقولي انك لم تفعلي شيئاً. فلقد عملت بشكل جيد جداً.»

«أجل، ولكن علي أن أعود الآن.»

«عجلي الى الحمام وعودي بعد ذلك إلى فراشك.» وقال لها بلهجة آمرة: «لن تذهبي إلى أي مكان.»

عارضت كلامه: «ولكن رويدك...»

«إعملي ما طلبته منك.» قال ريك ذلك بصوت قاسي وكان هناك نبرة تحذير في صوته.

«لا أحد يقاسي من الحمى مثلما قاسيت أنت ثم يندفع إلى العمل في اليوم التالي يا غبريللا.»

قالت بجفاء: «أعتقد أنني أخبر منك بنفسي.» ثم توقفت متذكرة حالتها وكيف يبدو منظرها بعد مرور يومين في الحمى، فأفلتت نفسها منه ورأسها يدور بشكل مؤذٍ من الحركة السريعة ثم دخلت الحمام وأقفلت الباب وراءها.

«لا تقفلي الباب حتى لا أضطر إلى خلعه لو احتجت إليّ.»

أعادت النظر في المزلاج لحظات قليلة ثم أرجعت المزلاج قائلة: «حسناً، ولكن إياك أن تتجرأ على الدخول.»

«لا تخافي.» سمعت صوته يخف تدريجياً وهو يبتعد عن الباب: «انت في امان مع رجل امين، أتتذكرين؟»

تتذكر؟ بل كيف لها أن تنسى؟ صبت الماء على جسدها ثم أجفلت باحتقار... كيف يمكن لهذا الخسيس أن يضايقها حول أي شيء فعلته أو قالته وهي في حالة الهذيان؟ لكن حنقها بدأ يخف عندما كانت تستنزف جهدها في عملية الاغتسال، لقد وجدت بعض الشامبو وأجهدت نفسها في غسل شعرها ثم فركت أسنانها بمعجون الاسنان مستعملة إصبعها بدلاً عن الفرشاة.

بعد الحمام شعرت أن وعيها عاد اليها تدريجياً، أما قواها فلا زالت منهارة، فتمكنت من إرتداء تيشرت جديدة وكانت هذه المرة بيضاء عليها رسوم شجرات نخيل، كم من

قميص تيشرت استعملت في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة؟

بعد ذلك لفّت شعرها المبلل بمنشفة زرقاء غامقة وترنحت في سيرها وهي في طريق العودة إلى غرفة النوم.

كان ريك هناك جالساً على احدى الكراسي الخشبية، بينما القهوة في إبريق فضي جميل وصحن من رقائق الخبز المسخن بانتظارها على طاولة صغيرة من الزجاج.

«هل تستطيعين أن تتناولي الفطور؟» قال لها ذلك وهي تلجأ إلى السرير.

اجابته: «نعم أعتقد ذلك.» ثم بدأت تحل المنشفة عن شعرها وتحاول تجفيفه فسقط شعرها بكامله على كتفيها.

«يجب أن تشكري جهودي، فقد كنت دائب العمل والحركة بينما كنت في غيبوبتك.»

وضع أمامها صينية مليئة بالطعام ومعها باقة صغيرة من الزهر الاحمر في كوب من الفضة، آخذاً منها المنشفة الزرقاء وناشراً إياها عند حافة السرير، ثم عاد ليرتشف قهوته.

«يا لها من أزهار جميلة.» برغم تعبها ومرضها لم تستطع سوى أن تبتسم وهي تشعر بإرتفاع في معنوياتها سألته: «ما إسمها؟»

«إنها زهرة البوغنفيليا استخرجتها من بين الأنقاض.»

«صحيح.» ولأول مرة خطر ببالها أن الاعصار لا بد أن يكون قد خلّف اضراراً بليغة في الخارج. سألته: «هل حصلت أضرار كبيرة بسبب الاعصار؟»

«ليس الى حد كبير، فالرياح لم تتجاوز سرعتها من ثمانين إلى تسعين ميلاً في الساعة وارتفعت في بعض الاوقات إلى المئة. كانت الاعاصير تأتي في الماضي الى هذا المكان بشكل قوي جداً. اما الآن فالاضرار انحسرت فقط باقتلاع بعض الاشجار من جذورها وبعضها صار في وضع متخلخل، لهذا عليك الانتباه والحذر عند الخروج، لكن الإعصار في موريشيوس كان أكثر سوءاً. لقد وصلت سرعة الرياح في اعصار جيرفيز عام ١٩٧٥ إلى ١٧٤ ميلاً في الساعة.»

ارتعشت وهي تمسح الزبدة ومربى المشمش على الخبز من مرطبان صغير وتأخذ قضمة من رقاقة الخبز. لقد كانت جائعة جداً، إذاً لا عجب إذا كان ريك اعلمها بخسارتها ليوم قضته في النوم.

سألته مستفهمة: «لقد قلت إنك كنت تعمل باجتهاد، فماذا كنت تفعل؟»

«هل تريدين فعلاً أن تعرفي؟ إذاً هناك أخبار سيئة وأخبار جيدة.» ابتسم ابتسامة قصيرة وهو يسألها: « أي أخبار تريدين أن تسمعي أولاً؟»

اجابته باختصار: «الأخبار السيئة.»

«حسناً. الأخبار السيئة أن القارب كان أحد ضحايا الاعصار...»

«ماذا تقول؟» كادت أن تسقط الفنجان من يدها. «هل تعني أننا صرنا منقطعين هنا على هذه الجزيرة؟»

ضحك من ردة فعلها: «الموقف ليس سيئاً إلى هذا الحد يا صغيرتي، فلا يزال القارب في مكانه ولم يجرفه التيار

إلى البحر إلا أنه غير صالح للإبحار به إلى موريشيوس ولسوء الحظ فإن الراديو فيه معطل..لكن الأخبار السارة هي أنه يمكن الوصول إلى المستودع فيه وهكذا فإن لدينا الكثير من مياه الشرب المعبأة ومن الطعام والملابس.»

«بالتأكيد ليس هناك المزيد من قمصان التيشرت؟»

«لا يزال هناك قميص واحد أو إثنان.» ابتسم مقدراً سخريتها.وتابع:«وصحيح أنني لست صاحب مصنع لهذه القمصان إلا إنها تصنع في موريشيوس.»

«لا بد أنك تملك أسهماً في هذه المصانع.» قالت ذلك وهي تشعر بنوع من التحسن بعد إرتشاف رشفة جديدة من قهوتها اللذيذة.

«ربما كان ظنك صحيحاً.» قال متابعاً كلامه دون مبالاة: «أي نوع من الملابس حضرت مجلة فيرست فلير لكي تصور عندما يأتي الجميع؟»

«ملابس بحر عموماً. هناك خط موضة مصمم بواسطة مصمم ناشيء تحمل طابعاً محلياً وشرقياً واعتقدت ارسولا ان موريشيوس ستكون المكان المناسب لتصويرها.»

مع ذكر أرسولا عادت إلى ذهنها مشاغل العمل والمسؤولية والآمال الكبيرة المعقودة عليها. تنهدت ومررت أصابعها في شعرها الرطب.

قالت بقلق: «كان علي أن أكون هناك. ماذا سيقولون عني إذا اكتشفوا أنني مجهولة المصير؟»

اجابها بنفاد صبر:«أولاً من المشكوك فيه أن يكونوا قد وصلوا حتى الآن. لأن الاعاصير مشهورة في تأثيرها على

إلغاء رحلات الطيران، ثم أنك لا يمكن أن تلامي لأنك أصبت بالانفلونزا الذي أطاح بجميع زملائك ايضاً. ثم إنك لست مجهولة المصير. فإذا كنت تذكرين أنا خابرت المرفأ عند بداية الإعصار، وهكذا فإن المرفأ والفندق يعرفون أين نحن وإذا تأخرنا في العودة فسيرسلون في طلب البحث عنا.»

نظرت إليه نظرة مليئة بالغضب واليأس وانفجرت صارخة: «كيف يمكنك أن تفلسف الأمور إلى هذا الحد. أليس لديك إرتباطات؟ وكيف تتحمل المكوث السلبي دون هدف على هذه الجزيرة مع شخص تحتقره؟»

كان هناك صمت طويل قبل أن يجيبها منفجراً بدوره بينما هي تعض على شفتها السفلى: «مع شخص تحتقره يا غبريللا؟ هل تقولين انني أحتقرك؟ أم قصدك أنك أنت تحتقرينني؟»

«أنا...» كم تمنت لو أنها لم تتهجم عليه هكذا دون سبب إلا لأنها تنتقم من مرارتها مع بيير مع أن الشبه بينهما بات من الواضح أنه بعيد جداً. قالت وهي تحاول أن تستجمع أفكارها: «ريك؟»

«قولي لي.» قال مقاطعاً: ماذا بالضبط تحتقرين في شخصي يا غبريللا؟ هل أنت عادة تحكمين حسب ذوقك على الناس الذين قلما تعرفين عنهم شيئاً؟»

«كلا، ولكن...»

«هل أنت تعتقدين أنك تعرفين نمط حياتي؟ لقد كونت عني صورة متعسفة أنني زير نساء؟ محطم زيجات الناس؟ وأغرر بالفتيات؟»كان صوته عميقاً

وحاسماً لكنه كان هادئاً هدوء من يتحدث عن الطقس.

قالت بصوت متقطع بينما كان وجهها يغلي خجلاً. «أنا لم أقصد...»

قاطع كلامها: «إذاً ما هو قصدك؟ أريد أن أفهم ماذا يدور خلف هذا المحيا الجميل؟ لديك شعر أشقر وعينان خضراوان لكن روحك تمقت الرجال.»

«كفى.» خرجت منها هذه الكلمة بينما هي تجهش في البكاء.

وبينما الدموع تفيض من عينيها تطلعت إليه بحيرة وذهول وقالت: «إنني آسفة... أنا لم أقصد إهانتك... لا بالعكس إنني معجبة بك ومدينة لك لإنك رعيتني واهتممت بي.»

ثم بدأت ترتجف قبل أن تتابع: «إذا كنت قد أسأت الحكم عليك فلأنك ذكرتني بشخص ما عشت معه تجربة مرة.»

«لا تقولي لي إنه بيير.»

لم يفاجئها رده لأنها توقعت أن يذكر هذا الاسم بعد أن سمعها تردده في هذيانها.

«نعم إنه بيير.» إن مجرد ذكر اسمه ليهز كيانها ويحرك أحزانها ويرش الملح على جراحاتها الدفينة.

«أخبريني شيئاً عن بيير.» كان ذلك بمثابة الطلب لا السؤال.

وتابع: «هل هو صاحب تجربة الحب الفاشلة التي تنبأت بوجودها؟»

ترددت قليلاً وهي تصارع كبرياءها قبل أن تهز برأسها قائلة: «نعم.»

وإنهمرت الدموع من عينيها ولم تملك لنفسها وسيلة لتوقف تساقطها.

اندفع ريك واقفاً وازاح الصينية جانباً ثم جلس على حافة السرير وجذبها بين ذراعيه وشدها إلى صدره حتى يهدئها.

«تباً يا غبريللا كفي عن البكاء.» صرّ على أسنانه بأسى بينما وجهه دخل في شعرها وهو يشدها إليه في عناق شديد.

«ليس لي الحق أن أفقد صبري معك بينما أنت مريضة. لا تبكي، سيكون كل شيء على ما يرام.»

«كلا... ليس كل شيء على ما يرام.» قالت ذلك وهي تبكي بعنف وقد أدركت ما بدر منها من كلام سيء. وتابعت: «بيير كان مميزاً عن جميع الرجال لكنني لا أدري لماذا تذكرني به ولو بشكل عابر مع أنك لا تشبهه حتى جسدياً، فهو أشقر وأنت أسمر. هو نحيل وأنت لا... أنا لا أعني بالضبط أنك سمين ولكن...»

عاد ريك إلى الضحك حتى أحست باهتزازات جسمه وهو يضحك.

رد وهو مستمر في ضحكه: «إذاً أنا لست سميناً بالضبط؟»

«أعني أنك على نقيض بيير.» تمتمت بينما الدفء من جسده بدأ يتسرب إليها.

«هو كسول فاتر الهمة، أنت أنيق وعضلي ونحيف وجسمك...»

«جسمي متناسق؟» أكمل لها جملتها بينما كان يقرّب منه وجهها الخجول ليتفحصه.

كان هناك تغيير في نظرته اليها، فحدقتاه توسعتا على نحو جنوني ولونهما بات داكناً أكثر.

أمسكت نفسها قليلاً لتشعر بأن جسدها يذوب بين يديه من شدة العناق... وأحست بتوتر اعصابها عندما انعكست نظرة عينيه في ردات فعلها.

«إذاً بيير قد سبب لك الأذى؟» تابع بصوت أبح مرتفع ليصبح جهورياً: «وأنا أذكرك به... ربما حان الوقت لإجراء مقارنة دقيقة يا غبريللا بيني وبينه.»

الفصل الخامس

من الطريقة التي قبلها بها شعرت غبريللا أنه قصد أن يجعل قبلته لا تدوم أكثر من ثوان قليلة. كان يحاول فقط أن يطبع عليهما طابعه الشخصي وليمحو صورة بيير نهائياً من ذهنها.

وبأنة مخنوقة تراجع ريك قليلاً ليمسك وجهها بين كفيه ويبحر في عينيها بنظرة مليئة بالشغف والحنان.

«غبريللا كان يجب أن لا نفعل هذا.» قال ونظرته تفيض بالعاطفة: «ولكن بعد أن وضعت لنفسي الكثير من الضوابط والإلتزامات فإنني أعترف بشدة أنني أريدك حتى الجنون، إني أتحرق شوقاً إليك ولكن علي أن أتوقف عند هذا الحد يا صفيرتي.»

اجابته بارتباك: «لا بد أنني مجنونة...»

فجأة توقف ريك وسحب نفسه بعيداً عنها.

قال: « أريدك يا غبريللا ولكن هذا ليس من حقي.» قال ذلك بينما هو يشتعل في داخله...

«انت بالكاد تعرفينني، لأن صحبة ليلتين لا تكفي لتحكمي على عواطفك تجاهي خصوصاً وأنك كنت مصابة بالحمى.»

فكرت بيأس، هل وقعتْ في حب ريك جوزيف؟ وماذا فعلت بنفسها. ثم لماذا هو يرفضها؟ رفعت إليه نظرها وهي تقول له: «هذه كانت طريقتك في رد الإهانة اليّ؟»

www.romancia.com

«كيف تقولين ذلك يا غبريللا؟ إنني شديد السعادة لأنك أردتني، ولا أريد أن أرفضك، ولكن عندما تفكرين ملياً في الأمر فلسوف تشكرينني بسبب تمنعي.»

بعد قليل أحست بالباب يغلق، لقد أخذ الصينية إلى المطبخ... لقد انصرف عنها.

استلقت على ظهرها وبدأت التحديق في شفرات المروحة المتدلية من السقف.

لقد كانت تدور ببطء، راقبت ذلك منذ دقائق. من أين جاءتها هذه الرغبة العارمة.. إنها لم تكن مجرد رغبة والا لكانت وجدتها مع بيير. ثم أنها لا تفهم كيف استطاع ريك جوزيف أن يؤثر فيها كل هذا التأثير بينما لم تشعر بمثله مع بيير فهي لم تشعر بشدة الخفقان هذه في قلبها قبل هذه التجربة. واستسلمت للنوم من جديد وعيناها مطبقتان على منظر شاب أسمر جميل له نظرة ذهبية ساحرة.

* * *

استفاقت بعد ساعة من نومها وقد وجدت الحيوية والعافية تعودان وبعض القوة إلى قدميها. استعانت بمشط ومرآة من حقيبتها لتسريح شعرها. وعندما شاهدت الغضون في وجهها عاد اليها الاحساس بالفكاهة فقالت لنفسها، يا لي من شنعاء. لا عجب أن يرفضني ريك. ثم خرجت تبحث عن ريك الذي كان يجلس على الشرفة يشرب القهوة ويقرأ كتاب أمام أغصان الأشجار المتكسرة التي اقلعها الاعصار.

إقتربت منه حافية القدمين وألقت عليه التحية وهي تجهد لحماية عينيها من وهج الشمس الساطعة. فرد عليها

التحية قائلاً: «تفقدتك مع بعض القهوة منذ نصف ساعة لكنك كنت لا تزالين مستسلمة للنوم يا غبريللا.»

«إن أصدقائي ينادونني غابي.. هلاً ناديتني بإسم التحبب؟ هل نستطيع أن نكون صديقين يا ريك؟ مجرد صديقين؟»

عندها خلع نظارتيه الشمسيتين عن عينيه وابتسم لها قائلاً: «لي الشرف يا غابي... لي الشرف.»قال ذلك بلهجة ماكرة. «هل تريدين أن تأكلي شيئاً؟» أضاف قائلاً: «يوجد بعض القريدس وبعض قطع الدجاج الباردة.»

هزت رأسها وقالت: «ربما بعد قليل، أما الآن فسأحضر لنفسي كوباً من عصير الفاكهة.»

«لا، أنا من سيحضرها، إنتظري ولا تتحركي.»

بعد قليل أحضر لها كوب العصير فيما هي جالسة على كرسيها. فاستجمعت قواها لتقول له: «حلمت أغرب حلم وهو أننا اجتمعنا في غرفة واحدة وطلبت منك أن تضمني.»

«غبريللا!!» قال لها محذراً من مغبة هذا الحديث.

«غابي لو سمحت.»

تابع بصوت جدي: «لو سمحت يا غابي، دعينا من الأحلام وعودي إلى صوابك.»

«بل عد أنت إلى صوابك، وعلى افتراض أن هذا الحلم لم يكن حلماً فإني أرجوك فعلاً وأتوسل إليك أن تنسى ما حصل وأعتذر منك عن كل حماقاتي معك.»

«غابي... لقد عدت إلى الاعتذار. ماذا فعل هذا الوغد بيير بك؟»

«ماذا تعني بقولك: ماذا فعل بك؟»

قال بنفاد صبر: «أعني أي نوع من العلاقة جمعتك معه؟» بينما هو يدنو كرسيه منها محدقاً في عينيها بنظرة تتحدى الغموض.

قالت بصراحة: «كنا مخطوبين.»

«كم إستمرت الخطوبة؟»

«أربعة أشهر.»

«أربعة أشهر؟» بدا ريك وكأنه لم يصدق. «ولم تحضري نفسك للزفاف؟»

«وهل هذا مدهش إلى هذه الدرجة؟»

«ليس مدهشاً يا غابي يا حبيبتي.. لكنه لا يصدق سيما وأنني أعرف عنك الآن ما أعرف.»

«ريك هذا ليس عدلاً.» قالت ذلك وقلبها يخفق تحت وطأة نظراته.

«بل هو عدل.» قال لها بلطف: «إن ذلك لطبيعة شغوفة، فما الذي دفعك لاختيار رجل لا تحبينه ولا يجذبك إليه شيء؟»

اختفى اللون من وجهها وهي تجيب: «هذا ليس صحيحاً... فلقد أحببته. أو على الأقل تراءى لي أنني أحبه.» كانت غير واثقة من حقيقة شعورها فحولت نظراتها عنه تحاشياً للإلتقاء بنظراته.

«إذاً أين كانت المشكلة؟»

«كانت المشكلة تكمن في كل شيء.» كان لا يزال من الصعب عليها الاسترسال بالكلام فشعرت بالتوتر يلفها.

«إكتشفتِ أنك لا تحبينه؟»

«لم أكتشف..» تابعت وهي تسحب نفساً عميقاً: «بل

علمت انه يخرج مع إمرأة أخرى.» وهنا علا على وجهها شعور بالغثيان.

«بينما كنتما مخطوبين؟» قال ريك ذلك بصوت صارم مستنكر.

أجابت بإيمائة من رأسها: «لقد كانت احدى صديقاتي، فتاة أكبر مني، تعرفتُ عليها في عملي السابق ووثقت بها. أما بالنسبة لبيير فقد أولعتُ به طيلة سنوات مراهقتي، فعائلتي وعائلته كانتا أصدقاء بل الأصح والدتي ووالدته كانتا صديقتين جمعتهما جمعية خيرية لندنية كانت فيها والدتي القوة العاملة بينما والدة بيير سيدة المجتمع، كنا أكثر من مرتاحين بينما كانوا واسعي الثراء... وكان بيير يحصل بسهولة على كل ما يريد.»

«وفي أي مجال يعمل بيير؟»

«في مجال النشر، نشر المجلات، ومن خلاله حصلت على وظيفتي في مجلة فيرست فلير.»

كان هناك صمت تأملي طويل.

سألها ريك: «هل إسمه الكامل بيير ويلينغتون؟» وعندما التفتت اليه بتعجب أكمل بهدوء: «ولد بيرتراند ويلينغتون من العائلة الذائعة الصيت في أعمال النشر؟»

نظرت إليه برعب إذ لم يخطر ببالها حتى الآن أن يكون ريك على معرفة ببيير، مع أن علاقة ريك بأرسولا تايلور مديرة التحرير في مجلة فيرست فلير كان يجب أن تقودها إلى توقع مثل هذا الاحتمال.

سألته باستغراب: «وهل تعرفه؟»

«ليس إلى درجة كبيرة.» قال متفكراً ومسنداً ظهره

إلى ظهر كرسيه ورافعاً رجلاً فوق الأخرى، «ولكن إلى درجة التأكد ان الرجل جدير بالاشمئزاز.»

«هذه هي قصتي.» قالت وهي تكمل: «وهي تضاف الآن إلى قصة شائعة عن بيع المجلة لمجموعة ويلينغتون... إنني في قلق وتوتر منذ لحظة سماعي لهذه الشائعة، واعتقد إن صح ذلك، أنني سأصبح عاطلة عن العمل.»

تمتم: «أنا لست قلقاً أن يؤدي بيع المجلة إلى رميك في الشارع يا غبريللا.»

نظرت اليه غير مصدقة.

تابع بشكل مبهم: «كل ما لا أفهمه هو كيف وافقت على الزواج من هكذا شخص؟»

اجابته: «جاء القرار بمزيج من العوامل، فقد كانت والدتي مشجعة لهذه الفكرة!»

ورأت نظرته الساخرة في عينيه فأكملت: «أعرف أن هذا عذر ضعيف، ولكن بما أن والدتي كرست معظم حياتها في المجتمع الغني فإنها لم تستطع أن تقاوم بريق هذا المجتمع المغري.»

«بالضبط، بالضبط.» قال بابتسامة خافتة: «ولكن ما هي الدوافع الأخرى؟»

«عفواً؟»

قال بهدوء: «ما هي العوامل الأخرى التي أدت إلى اتخاذ هذا القرار؟»

«كما قلت لك كنت معجبة به عندما كنت صغيرة ويانعة، فقد كان يكبرني بأربع سنوات، كان شاباً مدللاً

ولعل المشكلة أنني كلما إزددت معرفة به كلما صعب علي أن أقرر الزواج منه، هل هذا يعتبر تقلباً؟»

اجابها بجدية: «كلا ليس تقلباً ولكنه سذاجة وقلة نضج.»

قالت تدافع عن نفسها: «كنت فقط في العشرين من عمري.» تابعت بعبوس: «ثم كلنا نرتكب أخطاء ولا بد أنك أنت نفسك قد إرتكبت أخطاء، أم أنك مثل بيير تعتبر نفسك منزهاً عن الخطأ يا ريك؟»

ضاقت حدقته قليلاً وقال برقة: «أرى أنك تلجئين إلى هذا الأسلوب في الدفاع كلما حُشِرت في الزاوية يا غبريللا.»

«أوضح كلامك من فضلك.»

«تهاجمين محدثك لمجرد حماية نفسك.»

«ربما كان ذلك صحيحاً... لأن عندي عشرات الأخطاء، ليس كبعض الناس الذين يعتبرون نفسهم دون أخطاء.»

قال بغضب ونفاد صبر: «يا غبريللا أو إذا سمحت يا غابي، إن نقائصي وعيوبي ليست موضع البحث الآن، أما أن تقولي إن حياتي أنا كلها صالحة ونقاء فهذا نوع من المراوغة يا صغيرتي.»

«لطفاً، لا تلعب معي دور المرشد. إنني أشعر بالمهانة عندما تعاملني وكأنني إبنتك القاصرة أو شيء من هذا القبيل.» ونظرت إليه نظرة تقول إن هذا الرجل يفضل الفتيات الكبيرات ثم أضافت: «وماذا عن علاقتك بأرسولا؟»

«الآن أفهم يا غبريللا سر نظراتك التي لا تخلو من

الإزدراء. إنك تحاسبين الناس من وجهة نظرك الضيقة المنحازة ومن خيالك وظنونك بهم وهكذا تصدرين عليهم الأحكام ببساطة. وان لم تتخلي عن محاسبة الناس في ضوء تجربتك الفاشلة مع بيير ويلينغتون فلن تكوني جاهزة لبناء علاقة جديدة سليمة.»

الفصل السادس

هدنة متوترة سيطرت على بقية النهار. غبريللا وجدت أنه مع أن حرارتها رجعت إلى المعدل الطبيعي فإنها كانت لاتزال واهنة وفاقدة للحيوية. ريك الذي لايبدو عليه الاحباط لمكوثهم الاجباري لبس بهدوء سترة السباحة وارتدى ثياب الغطس التي أحضرها معه، وغطس تحت الماء بمحاذاة الصخور المرجانية. واستمرت الشمس الساطعة ترسل أشعتها الذهبية من قبة السماء الزرقاء النقية إلا من نتف قليلة من الغيوم القطنية اللون. بينما استمتعت غبريللا بدفء الشمس بكسل وهدوء على الرمل الأبيض كحبيبات السكر وعيناها ترمقان سطح الماء في انتظار عودة ريك. وتفكر متى ستصل إليهما النجدة من الأفق، مع أنها حزنت ضمناً لمعرفتها أن ذلك سيضع حداً لعزلتهما الحميمة. فهي لم تكن واثقة أنها تريد فعلاً إنهاء هذه العزلة أم لا.

هل تراها سعيدة ضمناً لأنها سجينة الظروف مع ريك بعد أن حصل بينهما ماحصل؟ لكن رفقته جميلة، هكذا كانت تراجع نفسها. كان مسترخياً وذكياً وعاقلاً وودوداً وفكهاً.

«كم أتمنى لو أغطس معك.» قالت ذلك عندما ظهر ريك من تحت الماء ليلتمع جسده البرونزي تحت أشعة الشمس. ثم قالت تمازحه: «ليس لرجل الحق في أن يبدو وسيماً إلى هذه الدرجة.»

«لربما نغطس معاً في مرة قادمة، أما الآن فمازلت مريضة ولن أجازف بك. ومع ذلك فإن جزيرتي ليست مكاناً سيئاً للنقاهة من المرض.» قال ذلك وجسده يقطر ماء قبل ان يجلس بقربها.

وافقته قائلة: «ربما أنت على حق ولكنها أيضاً ليست المكان المناسب للاصابة بالأنفلونزا.»

ذهبا الى الكوخ وتعاونا سوياً على تحضير الطعام ورتبا المائدة والشراب. لم تكن عندها شهية كبيرة للطعام، لكن الطعام كان لذيذاً وحديثه رائعاً وجميلاً. ثم، لاإشارة على ظهور طوافة في الفضاء ولا زورق في الأفق لنجدتهما.

هاهي شمس الغروب تكاد تكمل رحلتها ويبدو عليهما أنهما سوف يمضيان معاً ليلة جديدة. أهلاً وسهلاً بمن يأتي لنجدتهما... لكنها بدت كمن يستعذب الوضع الذي هي فيه.

إن صحبة ريك لتبدو ممتعة جداً، فبالرغم من أن لغز علاقته مع أورسولا لم يتضح بعد،فإنه لم يعد ليذكرها ببيير، إنه رجل ظريف يحب الحياة ويتقبلها كما تأتي دون تكلف، كان يبدو نافد الصبر لايتحمل المكر ولا السخرية، لكنه كان شجاعاً مقداماً وطيباً ويحنو عليها بحماية وعطف وقد برهن على ذلك عملياً عندما كانت على فراش المرض، ثم أنه لم يكن طامعاً فيها وقد بدا ذلك واضحاً حين تقدمت نحوه لتضمه وهي في وطأة الحمى، فصدها عنه في ذلك الوقت. وإرتعشت في إحلام يقظتها، فقد التقيا منذ يومين فقط وهي لاتعرفه معرفة كافية إلا أنها تشعر بأن عليها الاعتماد وهي

تسعد بذلك. أهكذا يكون شعور الأسير مع أسره ياترى؟

فركت عينيها لتخرج نفسها من وطأة أحلام اليقظة، فبالتاكيد لم يكن ريك سجانها. فهما هنا معاً منذ يومين وهي التي جلبت هذا الموقف لهما بفعل اصرارها على المجيء إلى الجزيرة والتسبب في انقطاعهما عن العالم بسبب الإعصار.

قال لها ببرود: «إذا داومت على التجهم هكذا فسينغض وجهك الجميل قبل أن يأتي وقت النوم. خذي المزيد من الشاي واستريحي.»

نظرت إلى الأفق حيث تحولت الشمس إلى قرص برتقالي وتلوّن الشفق باللون الأحمر وإبتدأ اللون البرتقالي يتحول إلى بنفسجي والليل يرخى سدوله ولا إشارة نجدة في الأفق. فقالت: «انني مندهشة كيف أن أحداً لم يأتي لنجدتنا.» بينما هي في ضمنها لم تكن لتعني ذلك بالضبط لأنها مسرورة بالبقاء معه.

«ربما لأنهم مشغولون بإسعاف آلاف الآخرين من الناس الذين اصبحوا مشردين الآن.» قال وهو يقدم لها المزيد من قطع الدجاج: «ومع ذلك لاتقلقي فيمكننا أن نصمد ليلة جديدة إذا اضطررنا.»

قالت بشيء من الجفاء: «لكنني سأنام على واحدة من كراسي الشمس.»

قال لها مؤكداً بصراحة: «كلا، بل سأنام أنا على الكرسي.»

تابع بعد قليل يغير الموضوع: «أعتقد أنه لايزال عندنا بعض الفراولة.» قال وهو يبحث في أعماق صندوق التبريد:

«جربي بعضها فهي برية وتنمو هنا على هذه الجزر.»

وأخذ الحوار بينهما منحى أكثر إيجابية، وقد برهن ريك أنه مثقف كبير في شؤون الكتب والمؤلفات والأفلام الأمور التي تهوى التحدث فيها. فقد تبين لها أنه من رواد السينما في نيويورك وباريس ولندن مع تفضيله للأفلام التي تتحدث عن الفن واعجابه بالممثل وودي ألن، كما اكتشفت أن بينهما بعض الاختلاف في الأذواق لناحية الموسيقى، فهو يكره موسيقى الجاز الحديثة التي تفضلها هي بينما يفضل عليها الموسيقى الصاخبة الحديثة. تكلموا عن كتب أغاتا كريستي وعن غودي المهندس المعماري الاسباني المبدع.

وعندما وصل الحديث إلى فن العمارة سألته:«ما هي التصاميم التي تريدها لمنزلك هنا؟ ومتى ستبدأ بتشييد هذا المنزل؟»

«إنني أعمل على دراسة التصاميم الآن مع مهندس من موريشيوس، أريد أن أنتقي التصميم بعناية وأن أحافظ على منظر البيت التقليدي.»

تابع قائلاً لها بإمعان:«وإني حريص على المحافظة على الحياة البيئية في الجزيرة أيضاً، ولست مستعجلاً، أريد أن أعمل كل شيء حسبما يجب حتى ولو استلزم ذلك مني وقتاً طويلاً نسبياً.»

اومأت برأسها موافقة وهي تقول:«أجل، من السهل أن يندفع المرء في تخريب الطبيعة، فانت على حق، ولكن أليس لديك مشاريع أخرى لأنك لاتستطيع أن تمضي فترات طويلة من الوقت هنا؟»

وحاولت بسؤالها ان تعرف ماهي مهنته الاصلية، لكنه اجابها وقد ادرك فحوى سؤالها:«كما قلت لك إنني أعمل بنفسي ولنفسي وأستطيع أن أمضي الوقت حيث أشاء ضمن حدود المنطق والمعقول.» كان يراقبها بامعان حين قال:«أخبريني المزيد عن عائلتك ياغاي، لقد ذكرت لي أمك، ولكن هل أنت المولود الوحيد في العائلة؟ وماذا عن والدك؟»

اجابته بصدق:«والدي؟ إنني احترمه واحبه جداً، فهو رجل محبوب وهادىء الطبع وشديد الذكاء.»

قال وهو يبتسم:«هنيئاً له بابنته المعجبة، ولكن ماذا يعمل في الحياة؟»

«إنه طبيب، طبيب جراح، متخصص في طب الاطفال خصوصاً الأنف والأذن والحنجرة.»

«هل كان موافقاً على زواجك من بيير ويلينغتون؟»

«ولم تسأل هذا السؤال؟»

«فقط بدافع الحشرية... هل وافق على هذا الزواج ياغابي؟»

اجابت مرغمة:«لا أعتقد أنه وافق، وعلى الأقل ظهر عليه السرور عندما فسخت الخطوبة.»

شعرت بالمضايقة من كثرة اسئلته ثم قالت له:«عندك طريقة بارعة في استخراج المعلومات الشخصية من فم محدثك ياريك، كما عندك البراعة نفسها في تجنب الافصاح عن ذاتك.»

صمت مندهشاً من سؤالها الصريح، فقال لها بلهجة كسولة:«حسناً، ماذا تريدين أن تعرفي؟»

سألته بسرعة: «هل أنت متزوج؟»

رد باختصار: «ليس الآن.»

«إذاً هل كنت متزوجاً؟ هل أنت مطلق؟»

قال بصراحة: «نعم، منذ تسعة سنوات.»

«ماذا حصل؟»

تكلم بهدوء بعد تفكير قائلاً: «منذ بداية زواجنا أيقنتْ زوجتي أنها تزوجت الرجل الخطأ.»

«إنني آسفة جداً.»

«حسناً ياغابي، يومها تلقيت أنا ضربة كبيرة، أما الآن فإنني أشعر بصراحة أنني تجاوزت تلك الصدمة.»

زوجته يجب أن تكون إما عمياء، وإما بلهاء. قالت غبريللا لنفسها وكأنها تعرف مايجول في خاطره، لكنه أكمل قائلاً: «كان الخطأ مني أنا أيضاً وليس منها وحدها، فلقد كنت منشغلاً ببناء مستقبلي المهني فشعرت هي بالوحدة. أحياناً تحدث هذه الامور خصوصاً مع الشباب الذين لا خبرة لديهم ليقدروا عواقب الأمور وإذا كان يهمك الأمر فإنني مازلت أنظر إلى وفاء الزواج، وقدسية العائلة.»

ثم أكمل ساخراً: «هل عندك المزيد من الأسئلة لإشباع تساؤلاتك؟»

«ماذا تعمل؟»

«أعمل؟»

أوضحت كلامها: «ماذا تعمل في الحياة لتعيش؟»

اجاب باختصار: «ألتقط الصور.»

قالت مندهشة: «أنت مصور فوتوغرافي إذاً؟»

اجابها بسخرية وهو يبتسم: «نعم هذا هو الإسم

الذي يطلق على من يلتقط الصور بقصد تأمين معيشته.»

«هل أنت دائم السخرية هكذا؟ هل أنت مصور أزياء؟وهل هذا هو سبب معرفتك بأرسولا؟»

«بطريقة غير مباشرة.»

حدقت فيه، إذاً هو مصور أزياء ويعرف أرسولا في العمل؟ هي لم تسمع بإسمه من قبل ويبدو أنه غير مشهور وبالتالي غير ناجح في عمله. ولكنه مع ذلك يبدو ثرياً وقوياً وواثقاً من نفسه.

وبدأت بطرح أسئلتها: «كم مضى عليك في هذه المهنة؟وهل أرسولا هي من تجد لك عملاً؟»

اجابها دون ملل: «عن الشق الأول من سؤالك أجيب: نعم اعمل في هذه المهنة منذ سنوات، أما عن الشق الثاني فأقول: كلا أشك في ذلك.» ثم اضاف: «حصل بيني وبين أرسولا مؤخراً خلاف كبير...»

«شخصي أم مهني.»

«شخصي.»

انتظرت المزيد من التفاصيل لكنه لم يتابع حديثه... فبدأت تغلي غضباً الى أن قالت: «ولم لم تخبرني عن مهنتك مع علمك بأنني أعمل لمجلة فيرست فلير. هل أنت كتوم منذ ولادتك؟»

«نعم مع الأسف.» قال وهو يراها تقفز من مكانها بغضب وتبدأ بجمع الصحون الفارغة: «دعي هذا العمل لي.»

نهض بدوره ووضع يده فوق يدها ليخفف من غضبها. كانت ملامسته لها شحنة من الأدرينالين في جهازها

العصبي فحاولت متابعة عملها ولكنها سمحت لنفسها في النهاية بالجلوس في كرسيها.

«هل تريدين بعض القهوة؟ لم يعد هناك من حليب لكن باستطاعتك تناولها سادة.»

«كلا شكراً.» قالت ذلك وهي لاتزال تشعر بالغضب لأنه لم يفض لها بجميع أسراره. لقد أحست أنه لايزال يخفي عنها الأشياء المهمة في حياته بينما هي باحت له بكل شيء. إن ذلك ليسبب لها أشد الغضب فقالت له:«إن عندي التفكير والقدرة على الذهاب الى الشاطىء لأشعل ناراً لكي يهتدي أحد إلي وينهي عزلتي معك.»

«ربما معك حق، فإن هناك الكثير من الحطب والوقود، لكن عليك أن لاتنسي أفاعي كولوفر.» اضاف ذلك وهو يمازحها.

«اكرهك ياريك جوزيف.»

قال ببرود:«هذا الغضب ليس في محله.»

ردت بغضب:«إذاً أنا ذاهبة إلى النوم.»

«لاتزال الساعة مبكرة؟»

«كلا، أنا أشعر بالتعب، سوف أضع كرسي في زاوية غرفة النوم وأنام عليها.»

«هذا لن يحصل يامجنونة.» قال وهو يضحك ممسكاً بذراعيها بينما اتجهت إلى الشرفة لتحضر الكرسي.«تحتاجين إلى الراحة في نومك ياغابي وهكذا عليك أن تتوقفي عن هذه الحركة العنيفة ولن تنامي على الكرسي.»

«لكنني لن أشاركك السرير.»

«لاعليك فأنا سأنام على الكرسي. هل أنت مرتاحة هكذا؟»

«كلا لست مرتاحة. فإني أفضل أن أكون وحيدة في ضباب لندن على أن أشاركك غرفة نوم واحدة حتى ولو نام كل منا بمفرده.»

«إذاً ماذا حصل لصداقتنا الجديدة؟»تابع بسخرية:«كنت أعرف أنك متقلبة المزاج ياغبريللا.»

أغلقت باب الحمام وراءها بعنف ووقفت لمدة طويلة تحت رشاش الماء الدافىء تقاوم غضبها ويراودها الندم لإفلات مشاعرها منها.

في منتصف الليل استفاقت ونهضت عندما استجمعت ذهنها لتتأكد أين هي، فتأكدت أن ريك قد التزم بوعده ونام على الكرسي في غرفة الجلوس بدليل عدم وجود أي أثر له في غرفة النوم.

كانت خارجة من الحمام بعد دقائق عندما شعرت بشيء يتحرك عند قدميها. نظرت إلى الأسفل وقد اقشعر جلدها من الخوف والرعب. كان هناك شيء ما يزحف على الأرض المرصوفة مسرعاً باتجاه غرفة الجلوس.

وبصرخة مذعورة كادت أن تقفز أكثر من متر واحد في الهواء لتهرع إلى السرير. وبعد لحظات ظهر ريك ليجدها ترتجف عندما أشعل نور المصباح بجانب السرير.

سألها بقلق:«ما الخطب؟ هل هو كابوس جديد؟»

«لابل هي واحدة من أفاعيك الهندية؟» قالت ذلك وهي تحدق في الأرض بذعر.

غاب التوتر عن وجه ريك وابتسم وهو يقول:«هل هذا كل

شيء؟ لقد خفت أن تكوني قد قتلت في الفراش. إلى أين ذهبت الأفعى؟»

اجابته وهي ترتجف: «إلى غرفة الجلوس.»

ذهب هو يفتش عن الأفعى بينما جلست هي مثل الأوزة في السرير ترتعش مقشعرة البدن تعانق الوسادة رغم دفء طقس الليل. وعندما عاد كان على محياه مسحة الانتصار.

«لقد رافقت خروجها إلى خارج المنزل.» قال مؤكداً لها بينما أمسك بذقنها ليتأمل وجهها: «قلت لك ياغابي أن هذه الأفاعي غير مؤذية. هل هاجمتك هذه المخلوقة المسكينة؟ هل حاصرتك في الزاوية؟ هل نفثت السم عليك؟»

«كلا ولكنها مرت بين قدمي.» وارتجفت عند ذكرها.

«إنها الطريقة التي تمشي بها الأفاعي.»

«أعرف ذلك.» قالت له وهي تصر على أسنانها: «أنظر قد أوافقك الرأي أن الأفاعي جميلة جداً وأنها صديقة جداً للإنسان، لكنني شعرت بالخوف، جعلتني أقفز في الهواء.»

حاولت، بهذا الكلام ان تدافع عن سلوكها وهي ترتعش.

«أناآسف لشعورك بالخوف.» تابع بمزيد من اللطف: «اصبحت بشرتك بيضاء من الخوف وترتعشين يامجنونتي.»

حملق في وجهها وجلس على السرير مقرباً إياها إلى صدره بطريقة أخوية مهدئة. «لاتخافي.»

رويداً رويداً هدأ الأرتجاف ليحل محله شعور من نوع آخر. تابع يقول لها: «لاشيء هنايسبب لك الأذى ياغابي.»

صار صوته أعمق وأجش مماجعل قلبها يخفق بشكل غير اعتيادي.

«غابي!» التحذير المحشرج في صوته جعل قلبها يخفق بسرعة قياسية وكان الدفء يغمرها بينما هي بين ذراعيه وكان الدفء يتحول إلى حرارة والحرارة إلى اشتعال ولم يكن ذلك بفعل الحمى هذه المرة فلا شيء سوى لهيب العاطفة المكبوتة بينهما والضعف والتراخي الذي بدأ يدب في أطرافها.

وسمعت نفسها تقول: «ريك!!!» بصوت أبح أقرب إلى الهمس.

نظر اليها بينما هي تقول: «إبقى معي ياريك. إني احبك.»

أفلت منها ليعود بعد قليل وهو يمسك وجهها بيديه قائلاً: «لا. أنت لاتحبينني ياغابي، فأنت لازلت قاصرة لكي تفهمي معنى هذه الكلمة.»

«هذا ليس صحيحاً. لاتقارني بزوجتك السابقة ياريك. أرجوك.»

عاد ليضمها بحنان من جديد قائلاً: «ياغابي أنت إنسانة جميلة لديك أجمل عيون وأجمل شعر وأجمل جسم وأي رجل يتمناك ولكن يلزمك النضج، يلزمك أن تكبري، فالحب يمكن أن يولد وينمو ويقوى بين شخصين شرط أن يكونا ناضجين.»

«كل ماأعرفه أنني لم أشعر بهذا الشعور من قبل ولم أتكلم مع أي رجل بمثل هذا الكلام من قبل وصحيح أنك غامض ومنغلق لكنك تعني لي شيئاً جديداً غير اعتيادي وإني لأقرأه في عينيك.»

«أنت لاترين بي إلا بديلاً عن بييرويلينغتون. فلقد سبق لك واعتقدت أنك تحبينه، أتذكرين؟ تحبينه لدرجة أن تلبسي

خاتم خطوبته ثم اكتشفت أنه يخرج مع إمرأة أخرى. أعتقد أنك تحاولين برهان شيء ما لنفسك، وأنا لا أستطيع أن اقدم لك البرهان الذي تبحثين عنه.»

«ألا يدلك رفضي لمتابعة خطبتي مع بيير دليلاً على شيء ما بالنسبة اليك؟» قالت ذلك بصوت كسير مليء بالبساطة والصراحة وبوجه مكسور ذليل، وتابعت: «أؤكد لك ياريك أنني كبيرة بما فيه الكفاية وناضجة بما فيه الكفاية لأعرف بالضبط حقيقة مشاعري نحوك.»

اقترب منها وأمسك كتفيها وهزها هزة عنيفة قائلاً: «أنت مجنونة.»

* * *

ومضى بهما الليل ولم تستفق غبريللا إلا عند الصباح وقد دخلت الشمس إلى الغرفة وهي تثير ذرات الغبار. كانت ماتزال في السرير وريك نائماً الى جانبها.

وفجأة فتح الباب ليبدو وجه ارسولا تايلور وهي تدخل قائلة بحنق: «إذاً أنت تختبئين هنا ياغبريللا. لقد اخبروني في الفندق أن باتريك كان مشغولاً بإصلاح السفن في جزيرته. والآن عرفت بما هو مشغول، إنه مشغول بتعطيل برنامجي لتصوير الأزياء عمداً عن طريق إغواء مساعدتي.»

الفصل السابع

«أرسولا!» جاء الصوت وكأنه ينطلق من مسافة بعيدة، سمعت غبريللا ريك يقول بحزم وهدوء: «اخرجي من هنا.»

«عندما أستعيد مساعدتي سأخرج.» أجابته أرسولا بصوت بارد وأكملت: «غبريللا لا أعتقد أن وجودك هنا مع باتريك سانت جوزيف سيجعلك تتقدمين في مجالك المهني يا عزيزتي، لكنني أؤكد لك أنه من الممكن جداً أن يتسبب بنتائج عكسية على مستقبلك في مجلة فيرست فلير. يجب أن أراك في زورقي بعد خمس دقائق.»

قال ريك بفظاظة: «غابي لن تغادر ولن تذهب إلى أي مكان قبل أن تسوي المسائل، عودي إلى موريشتوس يا أرسولا وانتظرينا هناك.»

«غبريللا؟» صرخت أرسولا وصوتها يقارب الغضب الشديد بينما وجهها أبيض. جلست غبريللا في السرير وهي تتشبث بكيس النوم وأفكارها معطلة عن العمل.

شعرت بالحذر من وطأة الصدمة. وكم كانت تتمنى أن يكون ما يحدث حلماً مزعجاً وكابوساً جديداً. ولكن تباً، إن كل شيء ليبدو حقيقة ثابتة وواضحة.

قال لها ريك شيئاً دون أن تسمعه أو تستوعبه. كل ما سمعته كلمات أرسولا وكل ما استطاعت أن تستوعبه هو أن ريك ضحك عليها وأخفى عنها اسمه الحقيقي عن تعمد وتصميم.

استدرات ببطء وبارتباك وخجل وذهول إلى الشخص الأسمر بقرب سريرها، ريك جوزيف، كان في الحقيقة إذاً باتريك سانت جوزيف؟ لا شك أنه المصور العالمي الذائع الصيت الملاحق من الفنانات ونجوم الموسيقى والشخصيات البريطانية الملكية ليأخذ لهم صورهم.

خفق قلبها بجنون في صدرها وصعدت الحرارة إلى وجهها وبدت أنها ستحرق جسدها بكامله، لا عجب إذاً أنه يتعامل معها معاملة المرشد المسيطر منذ لقائهما الأول.

فتاة ساذجة في الحادية والعشرين من عمرها وبوظيفة متواضعة وآمال كبيرة كان لا بد أن يكون كل ذلك مبعثاً له على التسلية.

انزل قدميه عن السرير بهدوء ووقف في مواجهة أرسولا التي لم تجد سوى الانسحاب إلى الباب وهي تقول: «كيف تستطيع يا باتريك أن تفعل هذا حتى ولو كنت على خصام معي؟ كيف يمكنك أن تخرب عمداً أعمال المجلة عن طريق اغواء غبريللا واضاعة وقتها؟»

قال لها بثبات وهدوء: «اسمحي لي أن أرافقك إلى خارج حدود جزيرتي يا أرسولا. أعتقد أنك جئت بمفردك ولا علاقة لك بفريق النجدة.»

قالت ارسولابغضب: «سلطات المرفأ تقول بأنهم سيرسلون ميكانيكي في طائرتك المروحية في حال احتجت إلى إصلاح زورقك. لكنني لم أستطع أن أنتظرهم لأن عندي برنامج تصوير أزياء ومساعدتي غارقة في أمور أخرى.»

«سترجع غبريللا إلى العمل عندما تصبح جاهزة لذلك.»

«لو سمحت أستطيع التكلم عن نفسي.» قالت غبريللا وهي ترتجف من الغيظ بعد أن وجدت صوتها: «إني آسفة يا أرسولا، بالطبع سأرجع الآن، عندي الكثير من الملاحظات التي جمعتها وقد صورت فيلماً كاملاً خلال تجوالنا على المواقع.»

بعيداً عن كل شعور بالهدوء استدارت أرسولا لتنظر بوجه أبيض إلى غبريللا وهي تقول لها: «لا تزعجي نفسك بمغادرة مكانك الآن يا غبريللا، فلربما عندما تصبحين جاهزة ستتلطفين بالقدوم لتقديم تقرير عما فعلته للمجلة.»

ثم استدارت أرسولا ثانية باتجاه الباب وصفقته وراءها صفقة مدوية.

نهضت غبريللا وهي ترتجف من شدة التوتر، وحاولت اللحاق بارسولا لإيضاح الموقف لها.

قال ريك بسرعة: «رويدك يا غابي.» ممسكاً بذراعها ومانعاً اياها من التوجه إلى الباب. «إني أعرف أرسولا، دعيها حتى يبرد غضبها فلن يجديك شيئاً التحدث اليها في حالة الغضب.»

«صرت الآن متأكدة أنك تعرف أرسولا... لقد صار الأمر واضحاً حتى لفتاة بسيطة وساذجة مثلي أن علاقتكما أكثر بكثير من علاقة معرفة.»

«غبريللا أنت تزيدين المسائل تعقيداً. هل تذكرين أنني قلت لك انك تستخلصين النتائج بتسرع؟»

ردت بنبرة ساخرة: «وهل تتوقع مني أن أصدق كل ما

تقوله لي في الوقت الذي لم تكن صادقاً معي حتى في اسمك الشخصي؟»

وشعرت غبريللا بضخامة المشكلة الواقعة على عاتقها. فهذا الرجل ذو شخصية مشهورة جداً في عالم التصوير وقد كانت بسيطة وساذجة لدرجة أنها لم تتعرف إلى شخصيته جيداً. والأسوأ من ذلك كله أنها رمت بنفسها في أحضانه في الليلة الماضية وباحت له بحبها. يا لها من معتوهة حمقاء!

سألها بغضب: «سواء دعوت نفسي ريك جوزيف أو باتريك سانت جوزيف ما هو الفرق في نظرك؟»

«لا فرق أبداً ما دمت تستمتع بي استمتاعاً عارضاً.» مرارة سخريتها وقفت كحبات الأسيد بينهما. فجأة صار وجهه الأسمر قاتماً وقاسياً وبعيداً ولم تستطع أن تقرأ أفكاره.

«هل هذا ما تعتقدينه حقاً؟ هل كنت حقاً ألهيتني لهذه الليلة؟ هل هذا هو ظنك بي وبنفسك؟»

قالت متلعثمة: «نعم... لا... أنا لا أعرف. لكن الأمر لا يهم لأن الغلطة كانت غلطتي فأنا ارتميت عليك.» أطلقت ضحكة صغيرة مجنونة لتنخرط بعد ذلك بالبكاء: «هذا برهان على أن الفتاة يجب أن تكون أكثر حرصاً متى ولمن تبوح بعواطفها.»

قال ريك: «غبريللا يجب أن تعرفي أنك تتفوهين بالهراء.»

«كلا. بل أتكلم الصواب عينه، وبالمناسبة إني أعترض على كلامك مع أرسولا بالنيابة عني، فإذا كنت قد أظهرت لك

عاطفتي في الليلة الماضية فإنه لا يحق لك أن تتحدث بإسمي وكأنك تمتلكني.»

«أمتلكك؟ ربما كلا. لكنني أعتقد أنني الرجل الأول المحظوظ معك.»

وثبت عليه كالنمرة موجهة صفحة إليه، تداركها ممسكاً يدها بشدة قائلاً: «أنا لا أحبذ العنف.»

حاولت أن تحرر يدها من يده وهي مبهورة الأنفاس، لكن احتجاجها توقف فجأة عندما جرها بقوة إلى ما بين ذراعيه مطبقاً عليها لإسكاتها.

صرخت بقوة: «ريك دعني وشأني.»

اجابها: «مستحيل يا غابي. أنت لا تستطيعين أن تبوحي بعواطفك بشغف لرجل في الليل، مثلما فعلت معي، ثم تنهين الأمر معه في الصباح هكذا بكبسة زر.»

بغضب وإصرار شد ريك من ضمها إليه ولم يعد غضبها وإرتباكها كافيين لإبعاده عنها لأن مشاعر الليلة الماضية استفاقت في داخلها فجأة. قالت بصوت منخفض: «دعني أفلت منك يا ريك. سوف تتسبب بخسارتي لعملي. يجب أن ألتحق بأرسولا.»

قال بقسوة: «أرسولا يمكنها الانتظار، هذا اما انا فلا.»

كانت تشعر بالألم لأن ملامسة ريك لها كانت تجعل كيانها يذوب.

قال وهو يلهث: «أعطني الأمانة التي أعطيتني إياها بالأمس.»

«أعطني سبباً واحداً معقولاً لأفعل ذلك؟ ثم ما هو الفرق فأنت تحصل على كل ما تريد في أي حال.»

«إني أفعل ذلك لأنك تريدينه أنت بالذات لكنك لا تستطيعين إدراك ذلك.»

«لا، لا. أنا لا أريد ذلك.» كلماته الموجعة كانت القشة التي طفحت الكيل وعليها أن لا تدعه يسيطر عليها هكذا لأن ذلك انتحار عاطفي. فإستجمعت قواها لمقاومته إلى أن أفلتت منه في النهاية وهي ترتجف من الغضب والكبرياء المجروحة، فلو سمحت لهذا الأمر أن يحدث لجلب عليها المزيد من الندم أكثر من الليلة الماضية.

ولكن كيف يكون لديها مثل هذه المشاعر العميقة تجاه شخص يترائى لها أنها لا تثق به؟

همست له في النهاية: «لمَ فعلت هذا.»

قال بسخرية: «فعلت ماذا؟»

«أن تلجأ إلى العاطفة لتجعله ستاراً لمأزقنا.»

«هل هذا ما تعتقدين أنني كنت أفعله؟ لربما كنت أريد أن أؤكد أن ما حصل بالأمس كان وليد حب حقيقي. وأنه لم يكن مجرد حلم عابر وضائع، وأكثر من ذلك لأقدم لك برهاناً جديداً.»

قالت وهي تستدير لتنظر إليه: «لتبرهن لي أنك حاذق؟ أم لعلك تريد أن تبرهن أنك أقوى من أرسولا؟ لماذا ينتابني الشعور أنني تحولت إلى عذر في لعبكما؟»

«أنت لست عذراً في أي لعبة، غابي. وإذا توقفت عن الجنون فلسوف تكتشفي ذلك.»

«إنسى الأمر ياريك.» قالت والدموع تملأ محجريها: «لا أريد أن أسمع المزيد من الأكاذيب. قلت لك إن الأمر لا يهم.» وشعرت أنها تكاد تختنق لكنها استجمعت شجاعتها

وسيطرتها لتقول: «سوف أذهب لآخذ حمام ثم سأحاول أن أوقف أي زورق مار إلى موريشيوس، وسأحاول أن اصلح الخطأ الذي حصل في وظيفتي في فيرست فلير. أما بالنسبة اليك فلا تقلق، وقد عرفت الآن أنك رجل مشهور، ولن أتطفل عليك أمام الآخرين مرة ثانية.»

قال بسخرية: «إنني ممتن جداً لهذا العزاء يا غابي.»

كان وجه ريك خالياً من أي تعبير عندما نظرت نظرتها الأخيرة إليه، لكن استجابته الباردة لردة فعلها بقي يتردد في أذنيها لمدة طويلة بعد أن غادرته.

* * *

إن مجرد القول إن مستقبلها المباشر كان غامضاً وهي تفكر به بينما تأخذ حمامها الساخن في فندق سابل رويال كان بالتأكيد قول أقل من الواقع بكثير.

لكن رغبتها في الاستسلام للدموع والحزن والأسى كان شيئاً مؤجلاً الآن، ربما يمكنها الاستسلام لذلك في عزلتها الخاصة عندما ترجع إلى شقتها في لندن أو حتى في عيادة والدها لأنها بالتأكيد لا تستطيع أن تبكي على كتف أمها بعد أن وجدت القليل من التشجيع منها في أزمتها مع بيير. ففي الواقع أخرجت غبريللا والدتها من ذهنها وقررت أن تحبها فقط في حدود ما يلزم من اللياقات والكلام الاجتماعي السطحي عن موديلات الشعر والعطلات والرحلات والثياب.

لكنها الآن وهي منفية إلى جزيرة صغيرة في المحيط الهندي برعاية مجلة فيرست فلير وتعاني من مشاكل جدية في عملها فإن الشعور بالرفاه شيء لا يمكن تصوره.

كان من السهل القول لريك أنها تريد تحسين علاقتها الوظيفية مع رئيستها في العمل ولكن كيف هو السبيل، في الواقع، في العمل مع أرسولا التي ضبطتها في غرفة مع ريك؟

كانت تكبت أنّة عذاب عندما أغمضت عينيها محاولة نسيان الماضي، وكيف أنها استفاقت من ليلة حلم جميلة مع ريك لتفتح عينيها فجأة على منظر أرسولا وهي تؤنبها.

مر ذلك بذهنها وهي تتلاعب بفقاعات الصابون في حمامها.

إنه من غير المجدي التوق إلى جوزيف أو باتريك جوزيف كما يريد أن تسميه الآن...

لقد جعلها تفهم أنه لا يرغب في التورط معها، أليس كذلك؟

لم يكن لديهما ذلك النوع من العلاقة الطويلة فهما بالكاد عرفا بعضهما البعض، وما حدث بينهما كان نتيجة لظروف عابرة في الجزيرة جمعتهما في عزلة تامة عن بقية العالم.

أجفلت غبريللا وكأنها قد أصيبت بضربة موجعة، كانت ضربة تتعلق بالمشاعر، فقد كانت تتألم داخلياً، كما لو كانت معاناتها ألماً جسدياً حقيقياً، وعضت على شفتها السفلى، وحاولت أن تحول تفكيرها عما هي فيه، لكن الفكرة التي كانت ترفض أن تفارقها كانت فكرة مقارنة مشكلتها الحالية بمشكلتها السالفة مع بيير، والمقارنة لم تكن من العدل في شيء.

أولاً لأنها تأكدت الآن بشكل قاطع ولأول مرة أنها ما

أحبت بيير قط، وثانياً لأن علاقتها بريك علمتها كيف يكون الحب حقيقياً وصادقاً.

ثم إن تصرف ريك معها ربما جاء قاسياً في غموضه ولكنه لم يلامس أبداً أنانية وقساوة أفعال بيير.

لقد كانت قواعد بيير لمدة ستة أشهر قبل أن يصبحا خطيبين، كانا يذهبان معاً إلى المطاعم الفاخرة والمسارح ودور الموسيقى وكانا يشتركان في حضور الحفلات الاجتماعية في دائرة علاقات بيير الاجتماعية المعقدة. وكان بيير سهل التصرف مع هذه المجتمعات أكثر منها مع أنه لم يكن ليكبرها سوى بأربع سنوات، وكان بسبب سلوكه ولأنه يعمل لحساب والده النافذ، لهذه الاسباب جميعاً كان من السهل عليه أن يحوز على كل ما يطلب بسهولة فائقة. وكانت في فكرها يخامرها بعض التساؤل عن تطابق سلوكياتهما إلا أن إعجابها به كانت تغطي هذه التساؤلات لدرجة أنها اعتقدت دون شك أنها تحبه فعلاً.

إلا أن الثغرة الكبيرة في علاقاتهما كانت تتجلى في عدم مجاراتها لرغباته.

وكانت تظن أن هذا عيب فيها لأن تربيتها الصارمة لم تجعلها مستعدة نفسياً لتقبل حقائق الحياة. وكانت تتهم نفسها بالبرود لأن أي علاقة تتجاوز الصداقة البريئة كانت تثير فيها الخوف والفزع، الأمر الذي وجده بيير في بداية الأمر ممتعاً ثم مغيظاً.

ثم طلب منها الزواج دون سابق تمهيد، كان ذلك أثناء حفلة عشاء عائلي لمناسبة ليلة العيد.

كانت واثقة ان والدتيهما كانتا وراء تدبير الحدث. وعندما أحضر لها خاتم الخطوبة ذي الماسة اللامعة، شعرت بالفرح يغمرها بين تقبل تهاني المهنئين وشعور بيير بامتلاكها كمن يمتلك قطعة أثاث أو سيارة جديدة.

ومع مضي عدة أشهر كانت الهوة والفوارق في الأحاسيس تتسع بينهما، كان يسعى لاستعراضها والمباهاة بها بين رفاقه وفي حفلاته الاجتماعية عن طريق تدخله معها فيما تلبس وكيف تتصرف. لكنها ما لبثت أن غادرتها مشاعر إعجاب الفتاة المراهقة تجاهه وبدأت تكتشف أنها إرتكبت خطأ فظيعاً بقبولها خاتم الخطوبة من يده في تلك المناسبة العائلية.

شعورها بالذنب كان يزداد يتنافرها منه.

كان بيير يتخطى الحدود احياناً، فكانت تجفل من تصرفاته.

لكن بعد الخطوبة بمدة قصيرة أفهمها بصراحة أنه يتوقع منها أن تكف عن هذه التحفظات السخيفة.

في ذلك الوقت، عرفت حقيقة شعورها نحوه فأرجعت له خاتم الخطوبة.

ثم ما لبثت أن عرفت من خلال صديقة لهما سر علاقته القديمة المستمرة مع إحدى صديقاتها.

الآن إذاً ليس من العدل بشيء تشبيه ريك مع بيير، صحيح أن ريك يمكن أن يكون قد خدعها بإخفائه حقيقة إسمه وعمله عنها وكذلك يمكن أن تكون عنده نقطة سوداء أخرى تتمثل بعلاقته مع أرسولا تايلور، هذه العلاقة التي أقلقتها

أكثر مما كانت تتوقع، لكنه على كل حال لم يحاول أن يخدعها إلى نفس الدرجة وبذات الطريقة التي استعملها بيير.

لقد برهن ريك أنه عطوف ومتزن عندما كانا في الجزيرة معاً، كما أبدى اهتمامه نحوها اثناء مرضها.

ثم برعشة أعادتها إلى الانتباه، توقفت قليلاً لتحدق في ذراعها المغطاة برغوة الصابون بينما قلبها يخفق بشدة في صدرها بينما حنجرتها تضيق. لِمَ تعنف نفسها بهذا الشكل؟

وشعرت بالدوار والغثيان، لقد كانت تدور في حلقات ذهنية فارغة. إنها ستجن. إذاً لتدع هذا الأمر، لتنساه فوراً. فالذي مضى مضى كما يقول والدها.. إنها مياه جرت تحت الجسر... ولتتعلم من التجارب.

كان هناك قرع قوي على باب غرفة النوم. لفّت جسدها بروب الحمام وفتحت الباب لتجد أرسولا واقفة بشعرها الاسود المنسدل وفستانها الحريري الأزرق البحري ووجهها المزين بعناية.

لقد كان في إطلالة أرسولا قسوة باردة. كانت تحمل في يدها الملاحظات التي تسلمتها من غبريلا إضافة إلى حقيبة صغيرة تحتوي على صور الفوتوغرافية.

قالت أرسولا: «آسفة لأنني قطعت عليك حمامك يا غبريلا لكنني إنتهيت للتو من الاطلاع على ملاحظاتك، كما أنهيت تظهير فيلم الصور الفوتوغرافية التي قمت بالتقاطها، هل أستطيع الدخول؟»

بايماءة من رأسها تراجعت غبريلا لتفسح المجال بدخول المرأة إلى داخل الغرفة.

تابعت أرسولا كلامها: «لقد أعجبني العمل الذي قمت به تماماً.» كانت تخرج إلى الشرفة وتستقر على إحدى الكراسي. كان الوقت بعد الظهر بقليل والمحيط مغطى بأطباق داكنة من ظلال الغيوم بينما زلاجات الماء زرعت البحر بنقاط ملونة جميلة.

«لقد قمت بعمل رائع رغم كل شيء.»

حاولت غبريللا جاهدة أن تغطي دهشتها فقالت: «شكراً لك. هل أحضر لك شيئاً تشربينه؟»

«شكراً. هذه ليست زيارة مجاملة اجتماعية بالضبط.»

وهنا شعرت غبريللا بأن قلبها يهبط لأنها وجدت في لهجة أرسولا نذير سوء.

تنحنحت غبريللا وقالت: «أرسولا، أنا آسفة لما حصل بيني وبين ريك.»

«بل باتريك.» سارعت أرسولا للتصحيح ببرود. وتابعت: «ثم أنك في غنى عن إيجاد الاعذار، فأنا أتفهم الأغراءات التي تعرضتِ لها لأن معظم النساء يشعرن الشعور نفسه تجاه باتريك سانت جوزيف. وبوجود رجل وإمرأة وحيدين على جزيرة فإن معظم الرجال يصعب عليهم مقاومة اغتنام الفرص، على كل حال ستكونين سانجة جداً إذا بنيت على هذه القصة أكثر من ذلك. وأنصحك بأن تبقي بعيدة عنه كل البعد أثناء إقامتك في موريشيوس إذا كنت حقاً ترغبين في الاحتفاظ بوظيفتك.»

نظرت اليها غبريللا بعدم تصديق لا يوصف. «هل مفاد كلامك أنك ستطرديني من العمل إذا تجرأت وتكلمتُ مع ريك مرة ثانية؟»

«لا تعطي المسألة منحى درامياً يا غبريللا.» قالت المرأة الكبيرة وهي ترمق زميلتها بقلة صبر وهي تفتش عن سيجارة «هل عندك مانع من أن أدخن؟» وقبل أن تنتظر جواباً كانت قد أشعلت سيجارتها.

«لقد عرفت باتريك لمدة طويلة، وكل ما أقوله لك لا تجعلي نفسك سخرية أكثر مما عملت! فأنت مساعدة جديرة ولا اريد ان أخسرك ولا يمكن لومك لأنك أصبت بالأنفلونزا بعد كل شيء، وأعتقد أن الاعصار كان من المستحيل تجنبه، إن باتريك لساخر ماكر وأنت فتاة سانجة غريرة. ثم إن عمره أربع وثلاثون سنة فهو كبير بالنسبة إليك،وليس عنده بالطبع رغبة بالاستقرار والبقاء مع إمرأة واحدة... كان علي أن أعرف ذلك.»

«هل أنت على...؟ على علاقة معه؟»

«كنت على علاقة حب معه لسنوات.» قالت أرسولا ذلك بصراحة.

«لكنك متزوجة وريك يعرف ذلك.»

لسبب ما كان يراودها، فهي تعتقد أنه بالرغم من كل دليل لا يمكن لريك الذي عرفته أن يكون متورطاً بعلاقة خيانة زوجية مديدة. لكنها ربما كانت سانجة كما تقول عنها أرسولا وكما قال عنها ريك وهكذا بقيت صامتة في إنتظار الخطوة التالية من أرسولا.

«إنتبهي يا عزيزتي إلى كل ما سأقوله لك؛ إنني سأصفح عما جرى شرط أن لا يتكرر ذلك. وسيكون أمامك الكثير من العمل في برنامج تصوير الأزياء، أما بالنسبة إلى الليلة فأنت مدعوة إلى سهرة لمناسبة

اكتمال حضور الفريق، ستكون الحفلة في الحديقة إلى جانب الحوض وستكون باللباس الرسمي. سيكون هناك عرض فني لرقصة السيفا بمشاركة الجمهور، إذا كنا فعلاً قادرين على المشاركة بعد هذه الإصابة الجماعية بالأنفلونزا. وهكذا أقترح عليك أن تلبسي وتحضري إلى غرفتي لنناقش الترتيبات.»

«رقصة السيفا...!» شعرت غبريلا بقوة السيطرة للسيدة الكبيرة، هذه القوة التي رفعتها إلى منصب رئاسة التحرير بفضل قدرتها على سحق أية معارضة.

«رقصة السيفا هي رقصة محلية ترجع أصولها إلى الرقص الأفريقي.»

شرحت أرسولا باقتضاب:«وهي تعتمد على الألبسة الملونة الداكنة وسوف تأخذ بعض الصور الفوتوغرافية لكي نستعملها في المستقبل. هل اتفقنا إذاً؟ هل ستتركين باتريك سانت جوزيف بحاله؟»

«أليس هو المصور الذي سيأخذ الصور؟»

«كان يجب أن يكون...» قالت أرسولا وهي تطفىء سيجارة على أرضية الشرفة بحذائها ذي الكعب العالي: «كنت في الواقع فخورة بالانقلاب الصغير الذي عملته لإقناعه لأنه عادة يأبى من العمل الروتيني لخدمة مجلة أزياء.. لكنه بعد خلافنا المفاجيء إنقلب علي.»

«وعلى ماذا اختلفتما؟» لم تستطع أن تمنع نفسها عن السؤال.

وقفت أرسولا مستعدة للمغادرة وكانت النظرة التي وجهتها إلى غبريلا قاسية ومتأملة.

«يا عزيزتي.. تعنين أنه حين كنتما في جزيرته لم يخبرك؟»رفعت أرسولا حاجبيها بسخرية في وجه غبريلا وتابعت:«زوجي نكر علاقتي مع باتريك في دعوى الطلاق التي أقامها وباتريك الذي لا يستطيع أن يستقر على أية علاقة طويلة لم يعجبه الأمر. هل فهمت؟»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

إنها على الأقل جماعة صاخبة عجيبة يمكن للمرء أن يضيع في وسطها هذا مادار في ذهن غبريللا وهي تحدق في الجمهور الذي يدور على نفسه حولها وقد فكرت أنه تلبس على الأقل لباساً مناسباً لهذه المناسبة.

جماعات مثرثرة ضاحكة من الناس كانت ترفل في ثياب فاخرة زاهية وكانت ساحة الفندق التي تشبه الكلية محاطة بالطاولات ذات المفارش البيضاء وفوقها الشموع الصفراء في زجاجات مقببة تتلألأ كعشرات الحبوب في عتمة الليل. ومن الأعالي كان المكان يسبح بالأنوار في وهجها الذهبي الذي يتخلل أسعاف النخيل وينعكس على صفحة مياه الحوض ذات اللون الأزرق بالأخضر السحري.

وفكرت في تلك الليلة التي شاهدت فيها ريك مع مجموعته المعقدة في المقصف.

أما هذه الليلة فتشبه سابقتها وأكثر، لقد شاهدت النسوة يتزاحمن حول ريك، وكلهن من العارضات الجميلات، مثل المرة السابقة وأكثر. إن الطريقة التي كن يعاملنه بها ويجعلنه وسط اهتمام الجميع لكافية بحد ذاتها لكي يفصح عن شخصه الهام المشهور، مع أن نظراته وشخصيته كانتا وحدهما كفيلتان بلفت أنظار النساء حتى ولو كان يعمل فرّاشاً، لاحظت ذلك بمرارة.

لقد إرتعشت رغم دفء ورطوبة الليل. ريك كان صديق أرسولا الحميم، لم يعد هناك من شك في ذلك، فأي فتاة بلهاء كانت هي. اختنقت بريقها قبل أن تجد نفسها تبتسم لوجه مألوف لديها من وكالة أزياء مشهورة.

كان صخب الاحتفال يتزايد، ففرقة أفريقية معها غيتار كهربائي وطبول ترمبون بدأت تعزف الموسيقى الايقاعية الطربية التي تشبه موسيقى أميركا اللاتينية. أما العارضات فقد بدأن يظهرن شيئاً فشيئاً على دفعات وكان من بينهن عارضات قسم الازياء في مجلة فيرست فلير اللواتي كن يجهدن لاستعطاب الانظار.

كانت غبريللا تسلي نفسها بتبادل التحيات مع الزملاء ومع العارضات اللواتي تعرفهن متمنية أن تخفي أجواء الاحتفال مشاعرها الدفينة الكسيرة. الفستان الوحيد الذي كانت قد أحضرته معها من أجل الحفلات الرسمية كان بلون الذهب الساطع المزركش بالساتان الأبيض فوق تنورة طويلة من التفتا. وقد كان زيها جميلاً وملفتاً تحت الأضواء أكثر مما كانت تعتقد عندما اشترته في تنزيلات يناير، وكانت تضع في قدميها حذاء ذهبي اللون مخطط كما تضع في أذنيها قرطين من اللؤلؤ كانت تأمل أن يكون فستانها هذا جديراً بالمناسبة وجديراً بلفت النظر وتحويل الانتباه عن تعاستها الداخلية.

سارت فتاة جميلة تميل إلى السمنة وتعمل في حقل الماكياج في قسم الأزياء كانت تلوح لها بابتسامة من طاولة بقرب الحوض فغيرت غبريللا اتجاهها قاصدة هذه الفتاة.

«غابي، تعالي وإجلسي وأخبري الجميع. هل الشائعة التي سمعتها حقيقية؟»

لم تكد تجلس بجانب صديقتها حتى صعقها هذا السؤال: «هل هو صحيح؟»

«هناك اشاعة متداولة هنا أن أرسولا ذهبت تفتش عليك وضبطتك مع باتريك سانت جوزيف في منزله. فماهي حقيقة الأمر أيتها الهرة الصغيرة؟»

أبيض وجه غبريللا وتكلفت إبتسامة قبل أن تقول: «تريدين أن تعرفي ..إذاً عليك أن تأخذي في الحسبان ان الشائعات تتضخم حالما تنتشر.»

قالت سارة وهي تتفحص غبريللا باهتمام: «ربما. حسناً، على كل حال كل ماجرى معك لم يكن على مايبدو في مصلحتك فإنه ليبدو عليك الضيق والإرهاق.»

«إنني أتعافى من إصابة بالانفلونزا.» قالت غبريللا محتجة بضحكة قصيرة: «وليس هناك من مجال للإضافات الرومانسية.»

وشعرت بالاستياء في مخيلتها بسبب اصرار صديقتها على انتزاع الاعتراف بالجرم منها.

«يقولون ليس هناك دخان بدون نار.» أضافت سارة: «ثم أن باتريك شاب وسيم كنت قد شاهدت صوره في بعض المجلات التي تطارده لذلك فأنا شخصياً لا أبالي أن أضبط معه في أي وقت.»

كانت سارة في مزاج ساخر بحيث لم تستطع غبريللا سوى أن تشاركها المزاح والضحك ولكنها كانت في داخلها تشعر بالاحباط والارتباك.

كانت روائح الطعام الشهية وكانت سارة تتحدث عن البوفيه بعينين براقتين لكن غبريللا عبرت أنها لاتشعر بجوع شديد معللة ذلك بأنه من الاثار الجانبية للاصابة بالأنفلونزا.

كانت تشعر بالوحدة في وسط هذا الجمع حيث كل واحد يلهو ويشرب ويأكل ويثرثر ويخالط الآخرين في اهتياج وضحك.

كانت مشدودة الاعصاب بحيث قفزت من مكانها بعنف عندما سمعت صوتاً عميقاً مألوفاً يقول من خلفهم: «هل أستطيع أن أقدم لكم عصير الليمون مع الثلج ياسيداتي؟» وكان المتحدث ريك، وقد تخفى على هيئة خادم.

«ماذا تفعل هنا ياريك؟» قالت غبريللا ذلك بحيرة وارتباك.

أزاح كرسياً في مواجهة سارة التي قالت: «طبعا عرفتك الآن... أنت باتريك سانت جوزيف. ولكن لم تتخفى بهيئة نادل؟»

«لأنه آت بدون دعوة.» اجابت غبريللا عنه، فقد عرفت من أرسولا أنه غير مدعو.

«على كل حال لا يهم فأنا موجود هنا، ولا أعتقد أن الفندق يقوم بطرد المتطفلين على مثل هذه الحفلات، ألا تقدمينني إلى صديقتك ياغابي؟»

«الضيوف المتطفلون يبقون هناك في المنطقة خارج الشريط، ولو حصل ورأتك أرسولا هنا بجانبي فإن على وظيفتي السلام.»

ونظرت حولها الى الطاولات المجاورة، كانت تتوقع أن

تحضر ارسولا فوراً وراءهما لكنها استدركت قائلة:«هذه صديقتي سارة اخصائية تجميل في مجلة فيرست فلير وهذا هو باتريك سانيت جوزيف كما قدرت ياساره.»

«إنني مسرورة للقائك.» قالت سارة وهي تكاد لاتصدق اندهاش غبريللا التي راقبت كيف أن ريك صافح سارة برصانة.«إنني من المعجبات بعملك منذ زمن طويل، ولقد أعجبتني جداً صورة الغلاف الأخيرة التي صورتها.»

أحضر الخادم الكوب الثالث وجلس الثلاثة يشربون، ووجدت غبريللا أن كل أنظارها معلقة على ريك الذي بد فاتناً في سترته البيضاء وبنطلون الأسود وربطة عنقه الزيتية، لقد صارت هيئته مألوفة لديها إلى حد بعيد لكنها مع ذلك تشعر أنه لايزال غريباً عنها.

«المعذرة.» قالت غبريللا وهي تنهض منحية كوبها جانباً:«هناك شخص ما أريد أن أكلمه.»

ثم سارت بين الطاولات مغادرة الحفل باتجاه الشاطىء وهناك خلعت حذاءها لتدوس حافية على الرمال الناعمة وهي تتابع طريقها بغضب نحو حافة البحيرة.

وفجأة شعرت بضعف في ركبتيها فجلست على الرمال وهي تلف ذراعيها حول قدميها، ولشد ماأدهشها حضور ريك إلى جانبها.

قالت بهدوء:«ارجوك انصرف. لاأرغب في التحدث اليك.»

«لكنني أحتاج لكي أتحدث إليك.» أجاب بهدوء وهو يجلس الى جانبها على مسافة قريبة مديراً رأسه ليواجهها.

«كلا أنت لاتريد.» تابعت له بمرارة:«كان عندك فرص

لامحدودة للتحدث إلي في الجزيرة، إن كل ماتريده الآن هو أن تجد الأعذار التي تريحك. قلت لك إنسى الأمر... لايهم ماحصل بيننا!!

«غابي.» كان الصوت العميق بارداً:«لقد صرفت وقتاً طويلاً وأنت تقنعينني أنك بالغة وراشدة، فلا تحاولي الآن أن تقنعيني أن ماحصل بيننا لايهم لأنك تعرفين أنه يهمنا جداً.»

استدارت نحوه بقوة وغضب لتقول:«حسناً، وإن يكن.. لقد جعلت من نفسي حمقاء.. خيل إلي أن هناك شعور في منتهى الرومانسية يجري بيننا ثم اكتشفت أنني مخطئة، والآن سوف اتابع حياتي وعملي، فقد قلت لي انني لاأزال صغيرة وساذجة.»

«غبريللا.» قال وهو يمسك يدها ويشد بأصابعه على أصابعها:«انني أقدر مشاعرك وكيف أنك تشعرين بالخديعة لأنني لم أكشف عن اسمي الحقيقي.»

«حقاً؟» إرتجفت حين بدأ يمسك يدها بيده في حركة متوترة، وبقوة وعنف إنتزعت يدها من يده لتقول:«لماذا ياريك عليك أن تكون لعوباً؟ لماذا لم تخبرني من تكون؟»

«إذا قلت لك السبب فربما إتهمتني بالغرور، إنني لست بذلك المشهور سوى ربما في حقل عالم الأزياء حيث أتعرض للتملق. لكن الامر يزعجني لدرجة أن يصبح الأمر مضنياً، وعندما دخلت غرفة أرسولا وشاهدت مساعدتها الجميلة الشقراء،شعرت وكأنني أتنشق نسمة هواء بارد نقي. أتفهمين ذلك؟»

«كلا لست أفهم، فإنك عندما تقول نسمة هواء بارد فإنك

تعني في الحقيقة أنك وجدت فرصة مؤاتية للترفيه، فتاة قليلة الخبرة لتلهو بها.»

« كيف تقولين ذلك ياغابي؟ وأين هو اعتبارك لنفسك وكيف يجوز لفتاة ذكية وجميلة أن تضع نفسها في هذا الموضع وأن تصف نفسها هذا الوصف؟»

ردت وهي ترتجف:«إن عندي احترام لنفسي.»وإذا كنت مخلصة فإني لا أندم على ماحصل بيننا في جزيرتك لأني كنت أعرف ماأريد.» وأفلتت ضحكة قصيرة لتكمل:«للمرة الأولى في حياتي عرفت معنى هذا الشعور.»

«غابي...» صار صوته أجش وتحولت الدعابة في نبرته إلى مشاعر مكبوتة.

«فقط إني لم أفهم الموقف، وهذا هو خطأك لأنك لم تخبرني.»

سألها:«الموقف؟»

«وبل الحقيقة عمن تكون و...»

«وهل بوحي بإسمي الحقيقي كان سيغير مجرى الاحداث؟ إنني لم أكذب عليك وأنا عادة أستعمل اسم ريك جوزيف لأنه مجرد اختصار لإسمي الحقيقي، وإذا أردت أن تعرفي لما أخفيت مهنتي فلأنه هناك شيء يخصك، شيء دفعني بعمق شديد لكي أتعرف على شخصك ونحن على مستوى متماثل بدون التعقيدات التي تجرها الأفكار المتخذة سلفاً.»

«كم هو مهين أن أسمع هذا الكلام، هل تعني أنني لو عرفت مهنتك لتصرفت معك على نحو مغاير؟»

«ألم تكوني لتفعلي ذلك؟» كان صوته ساخراً:«دعيني

أعطيك مثلاً، لقد شهدت الطريقة التي تصرفت بها سارة عندما قدمتني إليها، هكذا تحصل المقابلات الجديدة بل ويحصل اكثر من ذلك بكثير... إنه ليخيل إلي أحياناً أنني بحاجة لمن يحبني ويحترمني لمجرد شخصيتي بصرف النظر عن شهرتي ومهنتي.»

نظرت إليه وهي تخفي دهشتها، وشعور بطيء بالتعاطف معه يغزو مشاعرها المتجمدة لكنها كبحت هذا الشعور بقوة.

«من منا تراه من إذاً يشكو من قلة الثقة بنفسه؟» قالت بخفة:«ثم أنك تتوقع مني أن أصدق كل هذا الهراء؟»

هز كتفيه لامبالياً وملقياً عليها واحدة من إبتساماته الهازئة التي دمرت دفاعاتها الفولاذية إلى درجة كبيرة. والتقطت أنفاسها لتقاوم ضعفها الشخصي أمامه.

«ربما أنني أتوقع الكثير من آنسة تضع نفسها في موقف الصد والدفاع مثلك ياغبريللا.»

تابعت غبريللا كلامها وكأنه لم يقل شيئاً:«من جهة أخرى.» وبصرف النظر عن إسمك الحقيقي وشهرتك فإنك في البداية بقيت غامضاً بذكاء فيما خص بعلاقتك الغامضة مع أرسولا حتى دفعتني دفعاً إلى أخذ الاستنتاجات في الوقت الذي كنت أنت فيه صديقها الحميم منذ البداية.»

ارتجف صوتها قليلاً حين تفوهت بـ كلماتها الاخيرة حتى لقد أمسكت فمها بيديها وعضت على شفتها السفلى وصارت ترتجف بألم.

قالت بصراحة:«بل كنت...وربما أنك لاتريدين البوح في مصدر معلوماتك هذه ياغابي.»

«توقف عن هذا.» لم تعد تتحمل المزيد من هذا التحدي الخفي. «توقف عن هذا، من تعتقد أنه أخبرني؟ انها أرسولا نفسها بالطبع، لكنها لم يكن من الضروري منها أن تفعل ذلك. هل كان ذلك ضرورياً؟ لقد كان كل شيء واضحاً من البداية لو لم أسمح لنفسي أن اعجب بك!»

وأطبق بينهما صمت بعد هذه الثورة وامتد الصمت ليصبح ظلمة تامة بينهما.

«إذاً هذا ماحصل في النهاية.» صار صوت ريك ساخراً عندما نطق أخيراً«لقد اعجب بي؟»

«هذا هو العذر الوحيد الذي أستطيع أن أجده لنفسي.»

تابعت بسخرية مرة:«وهكذا لاتقلق رأسك الوسيم عن شخصيتك بشكل عام فأنت تملك الكثير من الجاذبية لمجرد كونك ريك جوزيف.»

«أنا مدين لك بحق لهذا التأكيد، بل هل تعرفين ياغبريللا؟ إنني أشعر بنوع من التعاطف مع بيير ويلينغتون.»

كان التعبير البارد ميثر ألغضب لايطاق، فنظرت إليه بشك وقالت:«حقاً. لأنك تعرف ماذا يعني ظهورك على حقيقتك؟»

«لاياعزيزتي، لأنني بدأت أتساءل ما إذا كنت اتعرض لمثل هذه المحاكمة الظالمة بدون هيئة محلفين.»

لم تكن لتصدق إذنيها، وجرى في كيانهاموجة من الحرارة متبوعة بألم متقطع في أمعائها، لم يكن جديراً بها أن تثق به، كان من الجنون أن تخبره عن بيير، كان عليها أن تدرك أنه غير أهل للثقة لتفضي اليه بمثل هذا السر الشخصي.

«هذا أحقر اسلوب في الهجوم.» بدأت بالنهوض وهي

تقول:«علي أن اعيد تفكيري بأمور كثيرة بعد أن تورطت معك.»

«يالك من متقلبة.» قال بعناد وهو يقفز من مكانه بحركة رياضية ليسد عليها طريق الهرب.

«أستطيع أن أقول عنك الشيء نفسه.»

«أنت لم تتورط مع أي أحد بل مع نفسك.»

«غير صحيح.» قال وهو يطوقها بذراعيه:«انت سليطة اللسان عندما تكونين غاضبة.»

كانت مشدودة مثل الوتر عندما أنزل وجهه الأسمر ليقبلها.

«لاتستطيعين إنكار هذا ياغابي. ربما الثقة مفقودة بيننا، لكن النار مشتعلة بيننا في الوقت نفسه.»

«كلا.» لكن هذا الرفض لم يكن مقنعا، فقد كانت ترتجف دون سيطرة على نفسها عندما اجتذبها بقوة واحتضنها تجاه صدره الدافيء.

«كلا!» قال بعد أن أبعدها عنه قليلاً حتى يتفحص وجنتيها المتوردتين تحت ضوء القمر.« أريدك أن تعرفي أن هناك شيء ما بيننا.»

«هاي ياباتريك.» كان الصوت انثوياً مغرياً ينادي عليه من أعلى الشاطىء: «باتريك؟»

زاد التوتر بينهما عندما انفصلا عن بعضهما، عضت غبريللا شفتها السفلى فيما استدارت لتستطلع من القادم عبر الشاطىء.

«إن رقصة السيغا قد بدأت ياعزيزي.» والآن ميزت غبريللا الصوت بوضوح. إنها واحدة من العارضات

الجميلات الطويلات اللواتي رأتهن في الليلة الأولى للقائها به في المقصف، كانت تتمايل على الرمال باتجاههما وكانت تختال بثوبها في مشية القطة مثل الفتاة الاسطورية تابعت الفتاة كلامها: «نريدك أن تأتي لترقص معنا.»

«إذاً سيخيب ظنك.» أجاب ريك بجفاف ليظهر استياءه للمقاطعة.

إستدارت الفتاة لتلقي إبتسامة غير النادم بين ريك وغبريللا ثم قالت:

«آسفة. هل قاطعت شيئاً مايجري هنا؟»

«نعم.» قال ريك بنبرة حازمة هازئة: «في الواقع نعم.»

«كلا لم تقاطعي شيئاً.» قاطعته غبريللا بسرعة خوفاً من أنه ربما يفضي بالمزيد للفتاة: «لم لاتذهب وتراقصهن ياريك؟»

ادار ريك رأسه بغضب بارد باتجاه القمر قبل أن يصرخ بها: «غابي.» كان الصوت يحمل أمراً وتحذيراً في آن معاً.

استدارت بحسم وافلتت يدها منه لتبحث عن حذائها بين الرمال. ثم قالت للفتاة: «تقدمي. لقد أخذت أنا نصيبي منه.»

«لكن عليك أن تأتي أنت أيضاً ياغبريللا.» قال ريك ذلك بحزم وأدب ممسكاً ذراعها بقبضة تنطوي على الرغبة في العقاب بينما كانت تمر بقربه للهرب: «سوف تستمتعين برقصة السيغا. إنها آتية من أفريقيا ومن العبيد الماليزيين القادمين بالسفن إلى هنا في القرن السابع عشر، تماماً مثل الزوجات الفرنسيات المستوردات أتتذكرين؟»

«يبدو أنني لا أتذكر هذه الرواية.» قالت بتوتر مجفلة من قبضته وهما يمشيان على الشاطىء.

تابع حديثه: «السيغا هي دراما غزلية.» وفي هذه اللحظة وصلا إلى حيث المزروعات المليئة بالزهر في حدائق الفندق وأصوات الطبول في ساحة الرقص يمكن ان تسمع بوضوح اكبر. واردف: «لكن الفتاة في هذه المسرحية هي التي تقوم بدور الاغواء للشاب.»

«لست مهتمة في الواقع.»

«كلا، أعتقد في الواقع انها تتناسب مع ذوقك ياغابي.» قال وهو لايزال محكماً قبضته على ذراعها مبقياً اياها إلى جانبه: «هي تبدأ ببطء ثم الإيقاع يعلو ثم يقتربان أكثر ثم يتمايلان ولكنهما لايتلامسان وتنزل المرأة إلى مستوى قدميها وتتراجع الى الخلف ويهبط الرجل فوقها دون أن يمسها. إنها محاكاة للاستسلام.»

«ريك أرجوك.» كان يهمس بصوت أبح وغاضب عندما كانا يتقدمان في سيرهما.

العارضة السوداء الشعر كانت تصغي لكلام ريك ذي النغمة الساخرة وتلقي نظرات من الغيرة على غبريللا بينما غبريللا شاردة ومتوردة الخدين تثبت نظرها أمامها.

لقد وصلوا إلى حافة حلبة الرقص وكانت الموسيقى تصدح والطبول تقرع بإلحاح وكان الراقصون في وسط رقصتهم الرجل في سرواله القصير وفوقه تنورة ملونة والمرأة ترتدي بلوز بيضاء وتنورة مزركشة حمراء ضيقة على الخصر. راقبت غبريللا بجمود لعبة الحب القديمة كيف يتم تمثيلها بالإيماء.

لقد كانت مثيرة وجميلة الأداء،لكن حالة ذهنها لم تكن تسمح لها بمراقبتها.

همس ريك في اذنها: «هل جعلت الدم يسيل بدفء اكبر في قلبك الصغير المتحفظ ياغابي؟»

ولف ذراعيه بتملك حولها وأنفاسه الحارة تلامس رقبتها. وتابع: «هل يذكرك ذلك بالطريقة المثيرة التي بحت لي فيها بأحاسيسك على الجزيرة؟»

جمدت مكانها غير مصدقة بشكل لايوصف، كان غير محتمل. تململت وبانزعاج محاولة الإفلات منه. لكنه ثبت قبضته حولها فاستدارت بعنف لتدفعه عنها غير مبالية بالمشاهدين القريبين منهما الذين يتابعون صراعهما.

«ماالأمر ياغابي؟» قال لها بصوت منخفض:«هل صرت فجأة عاقلة ومفرطة الاحتشام؟ فتلك الايام التي قضيناها معاً في الجزيرة كانت حلماً يامجنونة فلا تكابري مرة ثانية.»

«الرقص ممتع أما أنت فخسيس.» تابعت وهي تصارع للتخلص منه: «أتمنى لو أنني لم أقابلك.»

«لكنك قلت أنك أحببتني ياغبريللا. وجعلت فراري منك أمراً صعباً، ألا يعني ذلك شيئاً لك؟»

«ريك أرجوك...» كانت تشعر بضيق أنفاسها.«توقف عن هذا.»

همس بشراسة:« ليس قبل أن احصل على الإجابة. لماذا قلت لي أنك تحبينني ياغابي إذا لم تكوني مستعدة للثقة بي؟ أم تراك تخلطين بين الحب وبين الرغبة؟ هل الحب عندك مجرد نوبة عارضة تشبه نوبات الحمى؟»

« ماذا تريد مني؟» وبدأت بالبكاء متجاهلة كل ماحولها سوى هذا الفراغ العاصف الذي يلفها ويلف ريك. ووصل الرقص إلى ذروته وإرتفع صوت يعلن إنتهاء الرقصة.

«لقد بحت لك بكل ماشعرت، كنت صادقة معك، هل تريدني أن أزحف الآن عند قدميك بعد أن اكتشفت أنك كنت تكذب علي على الدوام؟»

«بماذا تشعرين نحوي؟» واردف بلهجة جازمة: «فإن ماأشعر به نحوك هو شيء جديد و لم يتسن لأحد منا التفكير به ياغابي نحتاج لبعض الوقت لنقوي عواطفنا ويلزمنا بعض الثقة.»

«ثقة؟» لقد وثقت بك فجعلت من هذه الثقة هزأة.» تابعت بصوت مغتاظ: «أما الآن فلست أعرف حقيقة شعوري، كل ما أعرفه أنني مشوشة وغاضبة.»

«وأنا بالكاد أصدق عيني.» جاء صوت أرسولا بخبث من ورائهما. ولم يخفف ريك من قبضته على غبريللا، لكن غبريللا استدارت لتواجه النظرة الزرقاء العابسة في وجه رئيستها.

قالت ارسولا: «لقد حذرتك ياغبريللا ويبدو لي أن عليك أن تبدئي بالبحث عن وظيفة جديدة حال عودتك إلى لندن ياعزيزتي.»

بغصة باكية أفلتت غبريللا من ذراعي ريك وهي ترتعش بالغضب والحقد. بينما المرأة الكبيرة التي ترفل في ثوب حريري أسود وأبيض تفحصت قوام غبريللا في ثوبها الذهبي بنظرة باردة مليئة بالكراهية.

«لاتقلقي.»وجدت غبريللا نفسها تقول وهي تشهق باكية: «يمكنك أن تعتبرينني مستقيلة منذ هذه اللحظة.»

قال ريك بصوت غاضب وبارد:«تباً لك ياأرسولا. ألا تعتقدين أنك تسببت بما فيه الكفاية من الأذى؟ وهل ينالك شيء من كونك انسانة حقودة إلى هذا الحد؟»

إمتقع وجه أرسولا حين سمعت الإهانة وقالت:«كيف تجرؤ؟»

«بل كيف تجرئين أنت؟ إني احذرك من التدخل أكثر في حياتي الشخصية إذا كنت تهتمين باستمرار وظيفتك.»

«ربما تكون مصور مشهور ياباتريك ولكن أعطني سبباً واحداً معقولاً يجعلك تتخيل أنك يمكن أن تؤثر على وظيفتي.»

«كوني المالك الجديد لمجلة فيرست فلير مع آخرين.»

كان الرد البارد معلقاً في الهواء الدافىء بينهما. وجه ريك الأسمر كان يبدو كالقناع الخالي من أي تعبير.

«ماذا؟» فقد وجه أرسولا هدوءه المتعجرف واتسعت عيناها الزرقاوان وكانت ترمق ريك وكأنه قادم من عالم آخر ثم سألت: «هل أنت جاد؟ هل أنت المالك الجديد للمجلة؟»

كان هناك حلقة من المستمعين المهتمين:ساره والعارضة ذات الشعر الاسود وعدد العارضات والمصورين وقفوا بالقرب يجمعون أخبار النميمة ويشهدون فضيحة تجري وقائعها تحت أنظارهم.

كانت وجوههم عبارة عن غمامة غبراء بالنسبة إلى غبريللا. كانت ركبتاها عاجزتين عن حملها. ونقلت

أنظارها ببطء بين أرسولاً وريك وهي تهز رأسها بهدوء.

في النهاية قالت غبريللا:« حسناً في هذه اللحظة ياريك أنا لايعنيني ولايهمني إذا كنت قد اشتريت أي مجلة براقة من لندن إلى نيويورك...» كان صوتها مخنوقاً بالعبرات ولكن مسيطرة عليه تماماً... «لايهمني مايدور بينكما، إذاً اسمح لي بالمغادرة ويمكنكما متابعة لعبة صراع القوى السخيفة أما أنا فسآخذ أول طائرة مغادرة إلى لندن.»

www.elromancea.com

الفصل التاسع

في زحمة باحة مطار باليسانس في الصباح وقفت غبريللا في الصف تنتظر دورها للدخول إلى المطار، محدقة في باقي المسافرين، منتظرة أن تقلع الطائرة في موعدها. إنتابها شعور سخيف وكأنها لن يهدأ لها بال قبل أن تستقر في مقعدها في الطائرة التابعة لطيران موريشيوس البيضاء المزينة برسم هذا الطائر الذي يشكل شعار موريشيوس القومي. أما قبل أن يتم لها ذلك فإنها تشعر بشعور المجرم المطلوب للعدالة.

عندما إندفعت لتوضيب أمتعتها وللهرب في الليلة الماضية كانت خائفة من أن تظهر أرسولا من جديد لتوقيف سفرها ولتطلب منها إنهاء إلتزاماتها. ثم أن ريك نفسه يمكن أن يسعى لإعاقة سفرها. لكن إنسحابها قد تم دون عوائق. فخروجها من الفندق وإجراءات الحجز في المطار سارت كلها دون عوائق ولم يزعجها لا ريك ولا أرسولا والأرجح أنهما منهمكان في تمزيق بعضهما البعض ولكن ما همها هي، هنيئاً لهما ببعضهما البعض ، كانت تفكر بمرارة.

وكونه لم يأتِ على الأقل ليقول لها وداعاً لن يدهشها كثيراً، هذا ما صممت عليه. ألا يبرهن ذلك عن قيمتها المحدودة في نطاق حياته؟

وحالما تضع بينها وبينه عدة آلاف من الأميال فإن كرامتها المجروحة ستشعر بالتحسن.

ولعل هذا يريح ريك أيضاً من الاعتذارات الزائفة والشروحات والتوضيحات.

إنه يشعر بالذنب لأنه خدعها وكان يلعن ضعفه من الإذعان لها في تلك الليلة على جزيرة الأفاعي الهندية. كان هناك درجة من كبرياء الاستحواذ ربما. نموذج الرجل الذي يحاول أن يسيطر على العلاقة وأن يكون هو من يقوم بإنهائها. بالطبع هو لم يرغب طريقتها في مغادرته بينما كان يطلب منها البقاء.

لكن الذنب والشفقة كانا العاملان الغالبان في علاقاته تجاهها، الشيء الذي يعقد الأمور أنها باحت له بسرها واعترفت له أنها تحبه والآن هي تشعر بالحزن لذلك.

لم تكن لتتحمل أن تجده يشفق عليها لأن ذلك كان أسوأ شيء في نظرها.

اما عن خلافه البارد مع أرسولا وتصريحه بأنه قد اشترى المجلة فقد كانت افكارها تدور بمشاعرها الخاصة لتفكر في هذا الأمر. ريك جوزيف أو باتريك سانت جوزيف يمتلك الآن المجلة.. هل هذا ممكن؟ كان هناك خبر عن إنتقال ملكية المجلة منذ وقت والاشخاص الشديدو الثراء مثل باتريك كانوا قادرين على فعل ذلك. ربما ريك كان يقول الحقيقة؟ مع أن صوتاً صغيراً في داخلها ذكرها بأن على المرء أن لا يصدق كل شيء. ثم أنه تركها جاهلة لإسمه الحقيقي ثم عن حقيقة علاقته بأرسولا تايلور ثم عن مفاجاَته بشراء المجلة.

اضطربت عندما تذكرت حديثهما تلك الليلة على الجزيرة. كيف أنه لم يفصح حتى عن أي شيء عندما

أخبرته عن إمكانية شراء مجموعة ويلينغتون للمجلة، ولم تخف عليه قلقها من خسارة وظيفتها بسبب حقد بيير عليها. مع أنه طيلة الوقت كان عالماً بأنه هو من سيصبح مالك المجلة.

لقد أظهر موهبة واضحة في الخداع. كان مثل سمك القرش المفترسة في حوض سباحة.

وراودها شعور بالذنب تجاه المجلة التي ستدفع فاتورة إقامتها في الفندق وهي لن تبقى هناك. لكنها على كل حال عملت بجد مع المجلة ولم يبق معها أي متسع من الوقت حتى لكي تسبح في هذا البحر الأزرق الجميل.

وبعد أن أكدت حجزها مع موظف الاستقبال وعرفت موعد الإقلاع إلى لندن نادت سيارة تاكسي وذهبت إلى فندق آخر أكثر قرباً من المطار لتمضي فيه ليلتها وهي تشعر بالخجل قليلاً بسبب هذا الانسحاب الجبان وما استلزمه من ترتيبات لكنها عذرت نفسها بأنه لم يكن هناك أي مجال لمعاودة رؤية أي من أرسولا أو ريك بعد الأحداث الأخيرة.

إرتعشت قليلاً وهي تشد قبضتها وكانت خيالات الأحداث تضغط عليها وتشعرها بالخجل حتى أنها كانت تتمنى ان تنسى ماحصل معها بسرعة ليذهب عنها هذا الألم.

كان هناك لمسة مهذبة على كتفها فقفزت بذعر وعيناها مفتوحتان باندهاش. إثنان من شرطة المطار وقفا بجانبها وهما يبتسمان، كانا في غاية التهذيب واللياقة، لكنها حدقت بهما وكأنهما يصوبان المسدسات إلى رأسها.

«ماذا؟ هل هناك أي شيء خطأ؟»

«الآنسة هوارد؟ غبريللا هوارد؟ هل يمكننا أن نرى جواز سفرك لو سمحت؟»

وفجأة بدأ ذهنها يدور، وبحثت في حقيبة كتفها واستخرجت جواز سفرها.

قالت بإصرار: «هل هناك من خطب؟»

«لا مشكلة يا آنسة.» بدا أحد الشرطيين رجل هندي ودود. بعينين عسليتين تفحص جواز السفر اومأ برأسه قبل أن يضعه في جيبه ويقول: «لكن هناك رسالة عاجلة لك. تفضلي معنا.»

الاحتجاجات ممنوعة وهكذا وجدت نفسها برفقة رجلي الشرطة إلى خارج صالة المطار. راجعت في فكرها احتمالات الموقف بذعر، هل هو توقيف خاطىء؟ هل هناك خطأ أو إلتباس في الأسماء؟ هل هما يعتقدان أنها تقوم بتهريب المخدرات؟ هل يعتبران أنها إرهابية متخفية؟ موريشيوس كانت جزيرة مسالمة ومضيافة، لكنها سمعت أنهم هنا يعاملون الخارجين على القانون بقسوة. هل يكون هذا الإجراء نوع من الانتقام الذي تدبره أرسولا.

حاولت ألا تظهر الخوف وهي تقول: «يجب أن يكون هناك خطأ ما، وقبل أن أذهب معكما لا بد لي من الاطلاع على بطاقتيكما.»

توقف الرجلان واستخرجا بطاقتيهما اللتين تعرفان عنهما بأنهما شرطيي مطار. كانت تهدىء نفسها لكنها تتوقع أن يصطحباها إلى سيارة بوليس لكن بدلاً من ذلك بدا وكأنهما يقتادانها إلى طائرة مروحية صفراء متوقفة على طريق مسفلتة.

«لحظة من فضلكما.» قالت والشكوك تملؤها: «ما الذي يدور هنا وما هي الرسالة العاجلة؟»

«لا تخافي يا آنسة هناك رجل يرغب بالتحدث إليك.»

كان ريك جالساً باسترخاء واضعاً جهاز الاستماع والإرسال على رأسه ومحتلاً كرسي القيادة في طائرة الهليوكوبتر. إبتسامة الرضى علت ثغره عندما رآها.

توقفت غبريللا عن المشي معاندة مرافقيها بغضب ومستديرة تجاه الرجل ذو العينين العسليتين قائلة: «لا لا لن أتحدث مع هذا الرجل ،ربما هو يريد أن يتحدث معي أما أنا فلا. هل تفهم ذلك؟»

الرجل اللطيف دفعها بضع خطوات نحو الطائرة بينما قفز ريك وتمشى متمهلاً تجاههم.

«كيف تتسبب بجري من المطار إلى هنا؟» تابعت بصوت غاضب: «من تظن نفسك؟ هل أنت قائد البوليس أم ماذا؟»

«كلا.» قال وهو يمسك ذراعها ويدفعها إلى مقعد المسافر: «ولكن قائد البوليس صديقي، غابي توقفي عن المشاهد الاستعراضية واهدئي.»

«لا لن أهدأ.» رفست وقاتلت مثل هرة شرسة. «هذه جزيرة ديموقراطية أليس كذلك؟لن أذهب إلى أي مكان معك أريد جواز سفري الآن وأريد الرحيل على تلك الطائرة إلى لندن.»

«إذا كنت لا تزالين ترغبين الرحيل، فسأوصلك غداً بنفسي إلى المطار.» قال لها بحزن وهو يتناول جواز سفرها من أحد مرافقيها غير النادم على فعلته. «أما الآن يا صغيرتي فأنت آتية معي... آخ.» التفت اليها حين ضربته

على ذقنه. «كفي عن المقاومة أيتها الشرسة، إهدئي واعملي ما يطلب منك.»

«سوف لن أتجاوب معك.»

بدون إنذار حملها بين ذراعيه ورماها على مقعد المسافر ورمى حقيبتها على مقعد خلفي وأغلق الباب عليها بشكل حاسم.

وراودتها فكرة القفز من مقعد الطائرة لكنها لمحت الشرطيين المرحين يتبادلان النكات مع ريك. وهكذا وفجأة صارت تغلي بالغضب والتوتر بحيث الحركة.

حسناً، قالت لنفسها، لن أدعهم يتمتعون بمشاهد مسلية إذا استمريت في المقاومة، فملازمة الهدوء تبدو أسلم طريقة في الوقت الحاضر.

أي نوع من الطغاة هو هذا الرجل لكي يتآمر مع صديقيه ليرتب اعتراضها وخطفها إلى طائرته المروحية والتحكم بها بهذا الشكل الاستبدادي؟ موجات من الغضب اجتاحتها عندما قدم إلى الطائرة وتفحص المروحة بهدوء وجلس إلى جانبها وهي ترتجف من الغضب فأعطاها خوذة الإرسال والاستقبال.

قالت له ببرود:«لا أريدها شكراً. لا حاجة عندي بالتحدث إليك على كل حال.»

«سيكون هناك ضجيج كثير بدون هذه الخوذة.» قال تابع بلطف: «إلبسيها يا غابي.»

بعد صمت تمردي إنتزعت منه الخوذة ووضعتها على رأسها وطوت ذراعيها محدقة أمامها.

قالت له بهدوء:«يمكنني مقاضاتك بسبب هذا التصرف.»

«إني متأكدة أن اقتياد الناس وإرغامهم على ركوب الهليوكوبتر خلافاً لإراداتهم هو عمل مخالف للقانون والكلمة التي يمكن أن تطلق على ذلك هي الاختطاف.»

«محتمل جداً، ولكن تنكري أجدادي يا غبريللا.» كان صوته يحتوي على الكثير من المرح حالما أدار مفتاح التشغيل واستدارت المراوح.

وتابع:«فلشخص مثلي سليل القراصنة ومستوردي الزوجات فإن الخطف عمل عادي.»

بعد توقف قليل لتبادل المعلومات مع برج المراقبة ارتفعت الطوافة فجأة في الهواء وإتجهت نحو الشمال وحلقت في الشمس الساطعة.

الرحلة على شاطىء موريشيوس تمت بصمت. غبريللا تحدق إلى الأسفل في قمم الجبال العالية وتغير المناظر الدراماتيكي لم تصدق حينما كانا يهبطان على شاطىء رملي مهجور حيث إرتفع الغبار والرمال من حولهما أن ريك قد أعادها إلى جزيرة أفاعي الكولوفر.

«ها نحن هنا.» قال بينما هو يزيح عن رأسه جهاز الارسال والاستقبال ويقفز من الطوافة.« أهلاً بك من جديد في الجزيرة يا غبريللا.»

«لا تكن منافقاً إلى هذا الحد.» قالت بينما امسك بيدها وساعدها في النزول من الطوافة «كيف يمكنك أن تفعل هذا وأنت متورط في طلاق أرسولا. أنا لا أفهم ذلك»

أمسك ذراعيها وشدها نحوه وأزاح نظارتيها الشمسيتين ليتفحص وجهها الغاضب بسرور قائلاً: «اسكتي قليلاً ودعيني أشرح الأمر لك يا حبيبتي.»

«لست حبيبتك.»

كانت تتصارع بقسوة معه حتى إرتميا على الرمل سويّة وكان الرمل دافئاً بفعل أشعة الشمس. وحالما كبح ريك كل مقاومتها وتمرغا معاً على الرمال في عناق عنيف هدأت حركاتها المقاومة ليحل محلها بعض الشعور بالرضى.

«غابي يا غاليتي.» لامس ذلك الهمس وتراً خفياً في داخلا رغم غضبها الأعمى.

وببكاء مخنوق وجدت فم ريك يغطي فمها وفجأة توقف شعورها بانعدام العدالة ليذوب في النسيان عندما تحرك في داخلها ذلك الشعور من جديد.

«ريك هذا ليس عدلاً.» همست بصوت أبح بينما كان يمرر أصابعه على وجهها.

«لا اعرف ما تريده مني ولكن..»

قال بعناد: «أريد كل شيء منك يا حبي، بل أكثر من ذلك كل ما تريدين عمله بي يا غابي لأنني حطام بين يديك.»

حدقت به وفي النظرة الضيقة في عينيه وفي الانحناءة الساخرة في فمه وإرتعشت لشدة مشاعره.

«لا تتوقع أي تعاطف مني معك. فأنت لست سوى محتال شديد الإقناع، أنت لا تحب أن ترد طلباتك، أنت لا تريدني لذاتي بل تريدني أن أفعل الأشياء كما يحلو لك.»

«إذا أصريت يمكن ترتيب هذه المسائل. كنت أنوي أن نتكلم أولاً، أما إذا كانت الوسيلة الوحيدة لإرغامك على هذا الشكل فأنا مضطر لذلك.»

قالت له: «هذه ليست الطريقة الناجحة يا ريك الكلام العاطفي ليس هو كل شيء.»

«ربما ليس هو كل شيء فعلاً لكنه لم يكن مبرراً وجميلاً في مرة من المرات أكثر مما هو الآن.»

إرتمى على ظهره تحت الشمس وبينما فتح عينيه قليلاً قالت له: «أخذتني بالخديعة.»

«حقاً؟ في هذه الحال يا غابي فالنتيجة تبرر الوسيلة.»

«إذاً أنت مع الخديعة ما دامت توصلك إلى مآربك.» قالت ذلك وهي تحاول النهوض.

فأمسكها من يدها وأجلسها وهو يقول: «اني أملك جميع حقوق السيادة على الحوريات اللواتي يترامين على شواطىء جزيرتي. غابي هل ستصغين إلي؟» كان صوته عميقاً. ونظرت إليه برهة ثم وجدت نفسها تهز كتفيها وتقول: «أجل كليَ أذن صاغية.»

«أولاً أنا آسف لأنني لم أقدم نفسي لك بصراحة على أساس أنني باتريك سانت جوزيف المصور والواسع الثروة والمطلق.»

«أولاً، أعتقد أنني أستطيع الآن أن أتفهم ذلك وأعيش معه.»

«وثانياً أنا آسف لأنني لم أخبرك أنني كنت أشتري مجلة فيرست فلير لأنني لم أستطع أن أقدر مبلغ قربك من أرسولا حتى تمت عملية البيع بواسطة مستشاريَ الماليين لأنني لم أستطع أن أغامر أن يعود أي شيء لها.»

«حسناً أستطيع أن أتفهم وجهة نظرك.»

«وهذا يقودني إلى علاقتي مع أرسولا.»

قالت فجأة:«إنظر... هذا أمر يمكن المرور عليه أيضاً. فليس عليك أن تبرر لي أي عمل قمت به في

السابق فقد تيقنت من أشياء كثيرة في هذه النصف ساعة الأخيرة.»

«صدقيني أنني وقعت في حبك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها. فبعد زواجي الخاطىءقررت أن لا أقع فريسة مرة أخرى. وفجأة وبعد ان مر على قراري تسع سنوات كنت أفتش خلالها عن فتاة أحلامي التي سأقضي معها بقية عمري. ثم لما تعتقدين أنني وافقت على اصطحابك معي إلى هذه الجزيرة برغم علمي بقدوم الإعصار؟ ألا تعتقدين أنني قبلت مجازفة محسوبة لأمنح نفسي فرصة قضاء بعض الوقت معك؟»

«أهكذا إذاً كانت خطتك؟»

«اعترف بكامل إرادتي عن تورطي في هذه الجريمة، ثم إنتابتك الحمى وبدأت تهلوسين عن ذاك الخائن بيير.»

«آه يا ريك.»

«إهدئي ريثما أنهي كلامي. من أجل ذلك يا صغيرتي لم أرد أن استغل الفرصة على حسابك، فلقد حسبت أنك ما زلت تحبينه. ولهذا السبب قلت لك إنني غير راغب في المتابعة في الوقت الذي كنت فيه مستعداً لبذل حياتي كلها للاجتماع بك.»

«أنا لم أشعر معه كما شعرت معك، فهو حتى حاول مصالحتي بكل الوسائل عندما أرجعت له خاتم الخطوبة.»

«قال ريك: «لا تصدقي كم أنا مسرور لذلك. في البداية كنت أنوي من شراء فيرست فلير توجيه ضربة لآل ويلينغتون أما الآن فإن صدري منشرح أكثر.»

«أنت سادي.»

«لا لست سادياً يا غابي.» تابع بنعومة: «لكنني لست أيضاً صادقاً فلقد كذبت عليك بخصوص تعطل الراديو، لم يكن معطلاً، لكنني رغبت في كسب بعض الوقت لاكتشاف مشاعرنا نحن الإثنين.»

«أنت تعني أننا نحن الإثنين كنا قادرين طيلة الوقت أن نخابر المرفأ ليتم إنقاذنا؟»

«أما بخصوص أرسولا المتسلطة الشديدة القدرة على الاقناع فإني أقسم لك ببراءة تامة أنه لم يكن بيننا شيء في أي لحظة، كل ما في الأمر أننا عملنا معاً، وقد أوضحت لي أنها لا تمانع في قيام بعض العلاقات بيننا خارج زواجها لكن هذا ليس دأب حياتي من الأساس. إن زواج أرسولا كان متخلخلاً منذ سنوات لكن لا يعنيني من أمر هذا الزواج شيئاً. لاادري ماذا قالت لزوجها لكن الطلاق كان آخر قشة. وهذا اختلفنا عليه يا غابي . ومن أجل هذا قلت لها سوف لن أعمل معها ثانية. ولهذا السبب كانت تثير ما تستطيع إثارته من الزوابع.»

«أحبك يا ريك...»

«أعرف أنك تحبيني يا غابي، عرفت منذ الليلة الاولى التي قضيناها في الجزيرة.»

غمر رأسه في شعرها ليسألها: «هل تتزوجيني؟»

جاءه الجواب بسرعة :« نعم، اتزوجك.»

حين سكتت سألها :«ماالامر؟»

« هل ستبقيني هنا في الجزيرة وتعتبرني زوجة مستوردة.»

ضحك وقال :« ربما ياحبيبتي. لكن علينا الآن التفكير بعدد الاولاد الذين سننجبهم. برأيك كم هو العدد المطلوب لملىء هذه الجزيرة بعائلة سان جوزف ياغابي؟»

ضحكت بصوت عال وهي ترد:« كنت اتمنى ان يكون لدي الكثير من الاولاد وهاهي امنيتي تتحقق في هذه الجزيرة... احبك. احبك ياريك.»

همس في اذنها بدوره:« احبك ايضاً ياصغيرتي.»

تمت

www.elromancia.com